RAR_162

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

الى الاستاذ الفاضل السيد
كرم البستاني تقدمة
احترام.

احمد سليم

أحم ٢٦٨
٦٥٦,٢

CA
892.78
M231Ly A
c.1

أحمد مكي

ليلة القدر

منشورات . المكشوف .

بيروت * ١٩٣٧

منشورات المكشوف

الصبي الاعرج	لتوفيق يوسف عواد
عشر قصص	لخليل تقي الدين
عمر افندي	للطفي حيدر
قميص الصوف	لتوفيق يوسف عواد
كان ما كان	لميخائيل نعيمه

يصدر قريباً :

على المنبر	للدكتور نقولا فياض

الى

Melle Sylvie Bonnier

à Montpellier

A. MAKY

ليلة القدر

... تنزل الملائكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر .
... سلام هي حتى مطلع الفجر!

«القرآن الكريم»

ادراك الحقيقة الكبرى

(ساقيـة جارية . فجر ندي)

الناسك

هنا اتلو صلاتي كل فجر . هنا أسبح بآلاء ربي . هـذه ساقية جارية ، صافية كسريرة الطفل . فيهـا ارى وجهي كل يوم يتموج بتموج صفحة الماء اذ يهب النسيم !

لأغتسل!

ان اشباح الليل دنستني وهي تحف بي . هنا كوثر صافي النمـير يطهرني من ادران الشياطين ، ويغسلني من اوحال الاحلام .

(يغتسل)

لك الحمد يا ربي ! ان نفسي تنتعش بين جوانحي ، وتصفق فرحا وسروراً : طائر في قفص ، شاقته مباهج الوجود ، يطير فيها طليقا . هي تلج بي جذلى ، تود الخروج من جسد وهى !

ما اغتسلت يوماً الا انبعث فيَّ احساسي بالجمال . ولج بي ايمـان يلهمني التسبيح ، هـذا الماء — نقي صاف في الصبـاح — يذيب في

ذهني الصفاء ، وفي نفسي النقاوة .

هوذا الافق بدأ يتورد : وردة ندية تقدمها الطبيعة لمبدعها تحييه شاكرة . ها هي العصافير تتعالى زقزقتها العذبة ، تفارق الاغصان ، مودعة افراخها ، لتطير في جو يعج نورا ، ويفيض وضوحا !

لله ما ابهى طلعة الشمس ! ترقص اشعتها على قمم الجبال ، وترميها على بسط السهول . لك الله ايتها الطبيعة المستيقظة . ما انقى نسماتك ، وابهى مجاليك ، واعذب اغاريدك !

(يتوجه الى السماء خاشعا)

يا بديع السموات والارض . يا نور الحياة في كل شيء . اجعل قلبي مرآة تتجلى فيها صورتك البهية ! املأ جوانحي بانوار الرضى وعطر كياني بطيب الطمأنينة !

لتهيمن ارادتك على نفسي . فتجعل مني بصيراً سميعا . يعي طرفا مما تضم الطبيعة . وتلك الهبة القدسية متى تجود بها علي يا رب ؟

يا جمال الطبيعة التي لا تحوي الا الجمال ، متى اراك وامتع ناظري بانوار قدسك التي انمحت امامها الظلمات الدامسة ؟

(يسجد)

(تظهر صبية في روعة فلق الصبح.
عليهـا ثوب ابيض . ومعهـا اناء
قرمزي شفاف . . . . .)

الفتاة

صباح الخير يا ابتاه !

الناسك (ناهضا باضطراب)

صباح الخير يا بنية !

الفتاة (في غنج)

كيف تراني اليوم يا ابتاه ؟

الناسك (دهشا)

اليوم اراك لاول مرة يا بنيتي ! فمن انت ؟

الفتاة

انا ؟ تسألني من انا يا ابتاه ؟

الناسك

نعم ! من انت ؟

الفتاة

لا تسألني عن هذا ! لن تعرف من انا يا ابتاه ! لكن انظر ! الا تراني رشيقة فتانة ؟

الناسك

بورکت عافيتك ! بورك شبابك !

الفتاة (تضع الاناء على الارض)

عفواً يا ابتاه ! نسيت شيئاً : الجمال . نسيت ان تبارك جمالي . الا تراني جميلة ؟

الناسك

جميلة انت يا بنيتي . جمالك في عيني غير جمالك في عيني نفسك وعيون الناس . بورك جمالك !

الفتاة (في دعابة)

قل لي يا ابتاه ! انا جميلة كما تقول . لكن ما احلى شيء في ؟

الناسك (في سكون)

ما احلى شيء فيك ؟ انت جميلة . انني اجهل اجمل ما فيك يا بنيتي !

الفتاة (ضاحكة)

انظر الي وتمعن : هذا قوامي أليس رشيقا ؟ ألا ترى اعتداله ونعومته ؟ وجيدي هذا أليس بديعاً؟ ألا تتمنى عناقه ؟ ووجنتاي الا

تحلو منهما القبل ؟ انظر : انهما قرمزيتان كانا ئي هذا . ومقلتـاي ألا يسكر صفاؤهما ؟

لك عينان فانظر : ما احلى شيء في يا ابتاه ؟

الناسك (ذاهلا)

قوام . جيد . وجنتان . مقلتان . اي هذه المغريات احلى ؟ جميلة كلها !

يا بنية : ان احلى ما فيك خلوك ممـا يغويني ! في رعاية المولى يا صغيرة .

الفتاة (توقفه في ضراعة)

نسيت ان تبارکني يا ابتاه . بارکني !

(تركع امامه . يمر يديه على رأسها)

(تنهض الفتاة وقد سمعت غناء لذيذا.
يلتفت الاثنان . يريان قطيعاً .
يظهر فتى . بهي الطلعة . يسكت
اذ يراهما . يبتعد بقطيعه . يغني
حتى يذوب الصوت . . . . .)

اغنية الراعي

اغتدي كل يوم وقبلة حبيبي تزودني.
آتي الى البراري ، ارعى قطيعي ، وصورة حبيبي تتبعني.
امشي على الاعشاب ، وفي اذني وقع خطوات حبيبي.
والجو عطري النفحة ، مجلو الصفحة كجبين حبيبي.
والسواقي سائلة حوالي ، والاطيار مغردة ولا تلهيني عن حبيبي.
ابحث عن حبيبي فلا اراه . يا حبيبي : ليتك الان معي !

الفتاة (ترنو الى الناسك)

أتدري يا ابتاه : لم ار قطيعاً انقى بياضاً من هذا ! فهل رأيت انت ؟

الناسك

نعم ! رأيت يا بنيتي . لكن لن تعلمي اين .

الفتاة (تبتسم في رقة)

الا تخبرني اين رأيت هذا يا ابتاه ؟

الناسك

لن يفيدك هذا شيئاً . آه ! الهيتني يا صغيرة ! ارتفعت الشمس ولما آوِ الى غاري . استودعك الله .

الفتاة (في لهفة)

لكن يا ابتاه اين استطيع ان اراك ؟ اين تسكن يا ابتاه ؟

الناسك

انظري يا بنيتي . هناك فجوة آوي اليها . اقضي ايامي الباقية .

(يمضي الناسك في هدوء . تتبعه الفتاة نظرات عذابا . تملأ الاناء وتختفي . . . . .)

(عشية ضاحكة . صفاء وتألق)

الناسك (امام الغار، يطل على الوجود)

ثمرات بها اقتات . قطرات بها اروى . زهرات بها اتروح . والطبيعة تمر بي . تخلع ثوبا وتلبس آخر . تبلى اثوابها وفيها الجمال لا يبلى . كل ما فيها جميل . ولا اعجز مني متى اردت التمييز .

اذكر . كنت ارى قبحا من قبل . اما اليوم وانا في غاري هذا فقد رقت نفسي بالعزلة ، وارهف احساسي بتأمل الحسن في الطبيعة . انا اليوم لا ارى الا الجمال . الجمال انى التفت اطل علي . والطبيعة تعرضه بفنها الخلاب .

كم تساءلت وانا انظر الى الطبيعة في تعريها من عتيق ولبسها لجديد: لمَ تفعل هذا ؟ اتعنى بالوان الجمال تعرضها ؟ لمن تفعل هذا ؟ ألي انا ؟ لست انظر اليها كما ينظر غيري . ان سواي من الناس لا تزجى اليهم محاسنها . وانا امتع بكل ما تحوي من فتنة وما تبدي من حسن . لكني هنا قابع في غار مظلم تنيره شعاعات نفسي .

اذكر وقد كنت اجري مع الناس في الحياة ، اذكر اني كنت لا ارى مما تشبعت به حواشي الطبيعة من نضرة ، كنت

لا ارى من هذا شيئاً . كذلك كان غيري . فقد كانوا يمرون بكل ما يتملكني اليوم . يلتصق بي يسكرني . كانوا يمرون به كما كنت امر لا تقع عين لهم عليه بفحص ، ولا ترهف منهم اذن له باعتبار .

سدى ما تعملين ايتها الام الحنون ! ان غيري لا يحس لطافة ما تبدين . ولا يفهم سر ما تبطنين . اما انا ، انا الذي نمت في احاسيس كل شيء ، انا الذي ارتوت نفسي من كوثر الرضى ، فانا عاجز!

نفحات من الطيب اشمها تذوب قبل اجتياز غاري هذا . نغمات علوية اسمعها تخرج ممزوجة بصداها المتجاوب في الغار . وبروق لامعات تغور سنى ، وتختفي لنور الشمس ، واسعى جهدي لأري الناس ما ارى ولكني عاجز !

انا حي . وبوسعي الاستغناء عن ثمر يغذو جسمي وقطرة تندي داخلي . الا انني افعل ذلك ايتها الطبيعة خوف نقمتك !

ما هذه الالوان المتماوجة في الافق ؟

ها هي العصافير عائدة الى اعشاشها، يسكرها صفاء الجو وينعشها امل لقاء افراخها! هناك صفحة الساقية الارجوانية تودع الشمس في سكون. انك ، ايتها الطبيعة ، تفيضين بكل روعة . لكن من يحس جمالك ؟

(يدخل الناسك الغار في سكينة . يوحش المكان وقد امحت اشعة الشمس . . . . .)

(يسري في الجو نغم لذيذ، يقوى
قليلا قليلا ، يخفت اذ تبدو
حوريتان . . . . .)

الحورية الاولى

ترين ، ان هبوطنا اليوم لبشرى لاهل الارض !

الحورية الثانية

ان اهل الارض لا تسرهم هذه البشرى ! ومن يدري ، سوف لا يقدرونها قدرها . لانهم لن يحسوا نزولها !

الحورية الاولى

لم لا يحسون نزولها ؟ هي توقظ النائم من سبات عميق .

الحورية الثانية

لكنها لا تبعث الاموات !

الحورية الاولى

هنا في الغار حي يفيق على انغامها !

الحورية الثانية

من ؟ هذا الناسك ، ساكن هذا الغار ! هذا يحس نزولها ؟

الحورية الاولى

اذن ، لم اتينا؟ ألم يكن لهذا ؟ اما ارسلنا اليه نوحي بمجيئها ؟

الحورية الثانية

كيف نوحي اليه بذلك ، هو لا يرانا .

الحورية الاولى

يكفي ان يمر بيننا.

الحورية الثانية

وبعد ؟

الحورية الاولى

يستطيع بعد ذلك ان يرى .

الحورية الثانية

لم لا نظهر عليه الان ؟

الحورية الاولى

نظهر عليه بعد هذه الليلة !

الحورية الثانية

لقد ظهرت عليه واحدة منا ، كما علمت .

الحورية الاولى

ظهرت ، وتظهر بعد ارتفاعنا !

الحورية الثانية

انظري ، هذا الناسك قد خرج ، انه كالمخبول !

الحورية الاولى

مري عن يساره . وامر عن يمينه .

(تمران بالناسك : الاولى عن يمينه، والثانية عن يساره، ينتفض الناسك انتفاضة شديدة ، ثم يدخل الغار . . . . .)

الحورية الثانية

والان ، مررت انت عن يمينه ومررت انا عن يساره، فماسيكون؟

الحورية الاولى

سترين ذلك ، اصبري .

الحورية الثانية

متى نرتفع ؟ اطلنا المقام هنا !

الحورية الاولى

لن نرتفع حتى تأتي تلك .

(ترتفعان في جلال . . . .)

(يظهر طيف ابيض اتياً الى الغار)

الفتاة

اين انت يا ابتاه ؟ جئت اصليك في وحشة هذا الليل .

الناسك (خارجا بارتعاش)

من يناديني ، كأني اعرف هذا الصوت ! من هنا .

الفتاة

انا هنا يا ابتاه . ألا تراني ؟ ألا تذكر من انا ؟ كنا معاً قرب الساقية . ألا تذكر يا ابتاه ؟

الناسك

آه ! اذكر ، نعم اذكر . لكن ما اتى بك في هذا الليل .

الفتاة

اتيت اصليك يا ابتاه . ألا ترضى ؟

الناسك

متى اتيت ؟

الفتاة

اني اصل . تعبت حتى وصلت . لولا رشاقتي لعثرت اكثر من مرة .

الناسك

خيل الي اني اسمع همساً . فمن من كنت تتكلمين ؟

الفتاة (ضاحكة)

اني اصل الان . وما تكلمت حتى ناديتك .

الناسك (في دهش)

مع ذلك سمعت اصواتاً قبل ان تنادي . انها اصوات عذبة !

الفتاة (في بشر)

كصوتي ، أليس عذبا صوتي يا ابتاه ؟

الناسك (في حيرة)

عذب صوتك يا بنيتي . لكن لم اتيت في هذا الليل ؟

الفتاة (في خفر)

اتيت اسليك يا ابتاه .

الناسك

يسأل عنك اهلك يا بنيتي .

الفتاة

ليس لي اهل يا ابتاه . يسأل عني كل الناس اذا فقدت .

الناسك

ليس لك اهل ، اين تسكنين اذن ؟

الفتاة

حيث تروق لي السكنى ، ما اطلب سكنى الا ألبى . ألا تقبلني الليلة يا ابتاه ؟

الناسك

اتظنين اني املك شيئاً حتى امنعه من الناس ؟ تستطيعين ان تبقي هنا يا بنيتي .

الفتاة

ان بقائي هنا سيكون لذيذا . سنقضي ليلة رائعة !

الناسك

من يدري ؟ تبقين هنا ام تدخلين ؟

الفتاة

بل ابقى هنا ، لنجلس .

(يجلسان . . . . .)

(ظلام ، سكون ، وصفاء .
الناسك والفتاة يتأملان الكون)

الناسك (منصتا)

الا تسمعين شيئاً في هذه الهدأة ؟

الفتاة (تنصت)

لا اسمع شيئاً . ماذا تسمع انت يا ابتا. ؟

الناسك (مرهفاً سمعه)

ألا تسمعين همساً ، كأن في الجو اصواتاً ، هى اصوات عذبة !

الفتاة (مصغية)

ها ! سمعت ، اصوات عذبة على غموضها !

الناسك (دهشا)

والان ، اتسمعين شيئاً ؟ لم اعد اسمع تلك الاصوات ، ما اعمق هذا السكون !

الفتاة (ذاهلة)

سكون عميق بعد تلك الاصوات ، بماذا تشبه عمقه يا ابتاه ؟

الناسك

عميق هو كقلب المؤمن !

الفتاة

اما هو عميق كقلب العاشق يا ابتاه ؟

الناسك

عميق كقلب المؤمن يا بنيتي .

الفتاة (في حدة رقيقة)

والعاشق يا ابتاه ، أليس العاشق مؤمناً ؟

الناسك (في ذهول)

ماذا تقولين يا بنيتي ؟

الفتاة

اقول ان الحب ايمان . أليس كذلك يا ابتاه ؟

الناسك (في ذهول)

اجل ، ان الحب ايمان !

الفتاة (في حياء)

قل لي يا ابتاه أما احببت ؟

الناسك (في قلق)

لم تسألين عن هذا يا بنيتي ؟

الفتاة

لم اسأل عن هذا ؟ ان طبيعتي حب يا ابتاه .

الناسك (في ذهول)

ان طبيعتك حب ! صدقت يا بنيتي .

الفتاة (في استعطاف)

اما احببت يا ابتاه ؟ حدثني عن حبك . الا تذكر عنه شيئاً ؟

الناسك (في جلال)

آه يا بنيتي ! لقد احببت... احببت حسناء ما اراك الا تذكرتها . كانت جميلة فتانة . كان صوتها ناعماً رقيقاً كصوتك . كانت تناديني باسمي .

آه ! دعيني من هذه الذكرى يا بنيتي !

الفتاة (في لهفة)

اتم حديثك يا ابتاه . ما اعذبه حديثاً ينمل جسدي فرحا !

الناسك (متابعاً)

... كان لها عينان . كنت ارى فيهما اضعاف ما ارى اليوم من جمال في رحاب هذا الوجود . كانتا ابدا الى عيني . وقوامها اللدن يتثنى بين ذراعي ، كما يتمايل الغصن الرطيب للنسمة العابرة .

الفتاة (في ابتسام ودعابة)

ألم تكن تقبلها يا ابتاه ؟

الناسك (يتابع نجواه)

... لا ازال اذكر وقوفنا على شفير واد سحيق. ننظر الى تعانق الظلال والضياء ، والى صمت ارجائه الرهيب ! التفتت الي وفي عينيها بريق باهر وقالت باسمة :

ـــ لقد بت ارقب هذه الساعة . انها تفوق كل العمر ! انها ساعة خلودي ! لو تقبلني قبلة !

وقبلتها ! وليتني ما فعلت ! فاذا بها ترتفع وترتفع حتى تغيب عن ناظري ، وافيق من دهشتي ، وانادي فلا يرد الا الصدى الصاعد من اعماق الوادي !

الفتاة (في انتباه وشوق)

ما ألذ حديثك يا ابتاه ! اما تنبأت اذ قلت : سنقضي ليلة رائعة ؟ اتم حديثك الطلي يا ابتاه !

الناسك (في نشوة سرور)

... وجاءتني في الحلم ، ضاحكة مستبشرة ، ومالت على اذني هامسة :

ـــ لا تحزن يا حبيبي ! اني احبك وساعود اليك .

قلت لها في لهفة :

ـــ لمَ تركتني في هذا الظلام وذهبت ؟

قالت في بشر وانطلاق :

ـــ سيغرق الظلام في لجة النور . سآتي اليك في ابهى لباس ، اذا انت لم تنسني !

قلت في دهشة :

ـــ انا انساك ؟ ابداً . لن انساك ! سارقب طول حياتي عودتك الخالدة !

ولا ازال ارقب عودتها ! ولا ادري ! فريحها تعبق الليلة في انفي وصورتها ماثلة امامي . كأن حبيبتي آتية في لباسها البهي !

ترين، يابنيتي ، اني احببت ، ومازج الحب كل ما بي !

الفتاة (ضاحكة)

أليس الحب ايماناً اذن ؟ قل لي يا ابتاه !

الناسك (كهاذٍ في غيبوبة)

اجل يا بنيتي . ان الحب ايمان !

الفتاة

الا تنظر يا ابتاه ؟ ألا ترى الظلام يتكاثف؟

الناسك (تائه البصر في الظلام)

ما اعمق الظلام ! كأن النجوم غارت في السماء ! ان السكون رهيب هذه الليلة . لا اذكر اني رأيت ليلة كهذه في سكونها !

الفتاة (باسمة)

اما انا، يا ابتاه ، فاذكر اني عرفت سكوناً كهذا السكون، لكن

ليس هنا . ان هذا السكون جديد في هذه البقعة . هو يهبط الليلة هذا المكان ، كأنه يخفي في احشائه سراً ... أتدري اين رأيت ذلك؟

الناسك (في لهفة)

اين رأيت ذلك يا بنيتي ؟

الفتاة (في دلال)

اسمع يا ابتاه . كان في يدي وردة فواحة ، انشى بعطرها ، وكنت ذاهبة الى كوخي الجميل ، اسير على حدة الجدول لاصل اليه . وكنت لا ارفع الوردة عن انفي ، الا لانظر الى الاشجار المرصوفة على الجانبين ، كأنها اشباح مكبوحة ، وكنت ارمق الهلال من يميني ، يتنزل على الافق البعيد .

وكان كل صوت هادئا ، غائصاً في لجة الليل الصامت ، وكنت ارى كل شيء ولا ارى شيئاً . كنت اسير نشوى بالشذى ، نشوى بالسكون ، نشوى بما فاضت به حواشي الوجود من صفاء ، فلما وصلت الى كوخي ، كوخي الصغير ، المبني على ربوة وديعة ، التفت ورائي ارى افول الهلال وتماسك الظلمات . فوقفت ارهف السمع علي اسمع شيئاً ، فلم اسمع . فاخذت الوردة بعنف ولوحت بها في الظلام ، ورميتها قائلة :

ـــ مهما تكن عميقاً ، ايها الليل ، فان قلب من يفهمك اعمق منك !

الناسك (مشرق الوجه)

ما ألذ ما ذكرت يا بنيتي ! اقتربي مني .

الفتاة (يد الناسك على رأسها)

لكن يا ابتاه ، انظر ، ألا ترى الظلام يذوب ؟

الناسك

سرعان ما تلاشى الظلام ! ما اسرع ما ازدهت السماء ونورت !

الفتاة

ما هذا الضياء ؟ لقد شهدت في طريقي افول الهلال .

الناسك

اجل . لقد رأيت الهلال ينطفيء وانا في الغار .

الفتاة

انظر الي يا ابتاه . ألا ترى شخصي في وضوح ؟

الناسك (في اندفاع)

اجل ! اني اراك ، كما لو كانت اشعة تلفنا . نحن مع ذلك في الليل وبعيد منا مطلع الفجر . انظري، ألا ترين كل شيء جليا ؟ ها هي الجبال تلوح قممها زاهية . وهذه الاشجار ، تبدو اغصانها واضحة . وتلك صفحة الماء ألا ترين لمعانها ؟ وهذا السهل الفسيح الا ترينه ازدهى بعد ان كان غائصاً في الظلمات ؟ لكن السكون لا يزال مهيمنا

على كل شيء . لا الجبال تتنفس ولا الوادي يتأوه ! كأن ليس في الوجود الآن صاح الا انت وانا يا بنيتي .

لم يعد رهيباً صمتك ايها الكون ! ان الضياء يشيع في جنباتك ويغمر كل شيء . انا نرى كل ما اخفيت عنا من ساعة بمكر . لئن كنت مظلماً شديد الظلام ، فان نفسي تتغلب على سدفك بما ينور فيها . لو كنت ظلمات ، فوقها ظلمات سرمدية ، لنفسي تحس في اعماقها كل شيء ، وترى كل شيء كما لو كانت الانوار فائضة !

لكن ألا تحسين شيئاً يا بنيتي ؟ يخيل الي ان حركات ستتفجر . انظري السماء ما ازهاها ! انظري ألا ترين ؟

الفتاة (باسمة)

اجل يا ابتاه ان السماء زاهية . لكن ألا ترى ؟ ان الاشجار لتهتز . ألا تراها تميل الى الارض في سكون ؟ ان ميلها لشديد ، تكاد تلتصق بها ! انظر ، قد استلقت على الارض : جسوم تملكها النعاس !

الناسك (في دهشة)

نامي ايتها الاشجار ، ان النوم راحة . آه ! ألا تسمعين يا بنيتي ؟ يخيل الي ان اصواتاً تدنو منا !

الفتاة (منصتة)

هذه همسات ، انها همسات عذبة !

الناسك

اجل ، كأني سمعت مثل هذه الهمسات قبلا ، لكن انظري .
ألا ترين النجوم تتلألأ ؟ انها قريبة منا ، كانت منذ لحظة لا ترى .
اما الان فما اقربها منا ! انظري ما ابهى هذه النجمة ! هي براقة باهرة البريق ! ألا ترين النجوم تتقارب حتى يخيل الي انها تكون شمساً كبيرة !

الفتاة

لكن الهمسات تقوى يا ابتاه ، انها انغام !

الناسك (ذاهلا)

ماذا يسري في كياني ؟ اي يد تمس كل اعضائي ؟ نفسي تكاد تطير بي . جسدي احسه يرتفع ، آه الى اين !

الفتاة (باسمة)

ألا تسمع يا ابتاه ؟ انها انغام سماوية . اسمع يا ابتاه!

الناسك (في ارتعاش)

آه اني اسمع ، اسمع وارى ، انا اسمع وارى يا بنيتي.

الفتاة

الا ترى في السماء شيئاً يا ابتاه ؟ امعن النظر .

الناسك (في وجل)

نعم ارى ، لكن ما هذا ؟ ضباب نقي يتنزل . وعليه ماذا؟ اجسام

نورانية تغف عليه . ما اروع تلك الوجوه الصبوحة !

الفتاة (في نفور رقيق)

مالك تدنو مني هكذا يا ابتاه ؟

الناسك (في اضطراب)

عفواً يا بنيتي ! اني خائف ، اني لا اعي . ان يدا خفيه تمس كل كياني . لكن اقتربي مني يا بنيتي ، أتخافين ؟ ان قلبي لا يرعب خفقانه ، ولا تفزع اشعة عيني ، تعالي يا بنيتي ، تعالي اطوق بذراعي .

الفتاة (بين ذراعي الناسك)

أتحبني يا ابتاه ؟

الناسك (مغمض العينين)

اجل احبك يا بنيتي ، لم ادرك من انت اول الامر ، فهل ادركت ذلك وقد ضممت الى صدري جسمك النوراني اللطيف ؟ من انت ايتها الحسناء التي اطوق بذراعي ؟ من انت يا ذات الوجه المعبود ؟ من انت يا من ملمسها يهز كياني ، من انت ؟

الفتاة

ابتاه ، لم تعد ترى ما حولك . مالك مغمض العينين ؟ انظر ما حولك .

الناسك (في ذهول)

كفايتي فيك . من انت يا من ملمسها يهز كياني ، من انت ؟

الفتاة

ألا تعرف من انا يا ابتاه ؟ انظر الي جيداً .

الناسك (يتفرس فيها)

قولي لي ، من انت يا من ملمسها يهز كياني ؟

الفتاة

لن تعرف من انا يا ابتاه ...

(تختفي)

الناسك (كالمجنون)

اين انت يا بنيتي ، انا اناديك . ناديني ، اين انت ؟ اني لا اراك ، اين اختفيت ؟

(سكون رهيب)

رباه ! اين انا ؟ اكنت حالما ؟ لا ، لا ، كنت في يقظة كنت كما انا الان . اين بنيتي ؟ آه ! اني ارى كل شيء ، قلبي يسع كل شيء . لكن اين انت يا بنيتي ؟ اختفيت ! لا ، انت معي ! لئن غبت عن عياني ، لقد ذبت بقبلة في كياني .

(يذوب الضباب . تختفي الاطياف .
تشرق الشمس في جلال . يخر
الناسك ساجداً .....)

العاصفة

... فقام يسوع وانتهر الريح
وتموج الماء فانتهيا ، وصار
هدوء. ثم قال لهم: اين ايمانكم؟
«انجيل لوقا»

أثر اختلاف الدين في تفريق القلوب

(ليلة قمراء ، نجوم متألقة ، نسيم
ناعم بارد . البحر منبسط في جلال .
الجبل يغسله نور البدر . شخصان
فتيان آتيان في سكون . همسات
لطيفة غامضة . . . . .)

سلفيا

اتدري ؟ ان هذا المكان بعيد عن اعين الرقباء . هنا نبقى لانخشى مباغتة عابر ، او تجسس حسود !

(تتلفت)

ها ! ما احلى ما يسر القدر . انظر ! هـذا غار نأوي اليه اذا بردنا . هذا المكان خير من الذي كنا فيه !

انظر ! امامنـا البحر ، ووراءنا البدر ، والسرور في كل مكان ، اليس كذلك يا حبيبي ؟

احليا

هو ما قلت ، اجلسي .

(يجلسان)

سلفيا

انظر صفحة الماء يا حبيبي ، انظر كيف تسيل عليها اشعة البدر. لا ادري! فاني احس ان الوجود يشاركنا في فرحتنا . الا ترى ذلك يا احليا ؟

احليا

هو لا يشاركنا يا حبيبتي ولكن نحن نشاركه . ألا ترين ان الطبيعة اذا حلت في اعين الناس وراقت ، خرج الناس الى حيث تقيم اعراسها ينتشرون ؟ نحن كذلك . ما رأينا صفاء الجو وتألق السماء حتى خرجنا ، يدك الناعمة في يدي ، الى ان وصلنا الى هنا .

سلفيا

ليت الطبيعة تبقى هادئة ، لينعم بها الناس ! الا ترى ان الجو اذا تلبد بالغيوم عابساً ، عبس معه كل شيء في الحياة ، لا نخرج ولا تسري فينا رغبات الى الخروج .

آه ، كم اود ان تظل الطبيعة هادئة !

احليا

اذن قولي لها ذلك !

سلفيا (باسمة)

وهل تفهم مني .

احليا

من يدري ، قولي لها .

سلفيا

ماذا اقول ؟

احليا

قولي لها :

ـــ ايتها الطبيعة ، يا ذات القدر ، ترفقي بنا نحن الشباب ، وقفي لنا حتى نأخذ قسطنا . لا تسرعي بالذهاب واخفاء ما تبدين ، تمهلي انظري الى اجسامنا منحية تستعطفك ! رفقاً بنا ايتها الطبيعة !

سلفيا (باسمة)

لقد قلت لها انت عني . فلن اقول لها اذن.

احليا

لا ، قولي لها ، انها تفهم منك اكثر .

سلفيا

اذن ماذا اقول لها؟

احليا

ما قلت آنفاً !

سلفيا

نسيت ما قلت ، لاني كنت ارمق ظلك في نور البدر وانظر الى

اشاراتك وانت تخاطب الوجود . تالله لقد كان ظلك بديعـا ! انظر اليه . الا تراه ؟

احليا

تنظرين الى ظلي . شكراً .

سلفيا

كنت انظر الى جسمك لاقارنه بظلك ، فوجدت ان ظلك بديع ثم التفت الى جسمك فوجدته ابدع !

احليا

اود ان اصدق هذا !

سلفيا (تتكلف العبوس)

اذن ، انت لا تصدقني .

احليا

كيف ، اصدقك في كل شيء .

سلفيا

أتحسب ان الظل يغني شيئاً ؟ انت ماثل امامي في رقة وجمال ، اما الظل فعابر لا يستقر .

احليا (لنفسه)

ألسنا كذلك في الحياة ؟

(لسلفيا)

دعينا من الظلال ، والتفتي الى النجوم المشرقة علينا !

سلفيا (نظرها فى النجوم)

انظر هذه النجمة ، انها تطل علينا من نافذتي اذ انام . انها اسطع النجوم بريقاً . أترى ، ليتها اكثر سطوعا لنرى لنا ظلا بنورها. ترى لو كانت كل هذه النجوم تعطي ظلالا اما كان الواحد منا يتمنى ان يعيش ظلا ، انه يعيش كثيراً .

احليا

لكن نسيت ان تتوجهي الى الطبيعة برجائك !

سلفيا

نسيت ! اوه ! اذكره لي .

احليا

اذكريه انت . تذكري ما سمعت !

سلفيا (متذكرة)

ايتها الطبيعة ... لا ترفقي بنا !

احليا

ماذا تقولين ؟

سلفيا

الم اقل لك اني نسيت او بالاحرى لم اسمع .

احليا

اذن ، قولي لها شيئاً من عندك .

سلفيا

وماذا اقول لها ؟

احليا

ما شئت ، قولي .

سلفيا

ايتها الطبيعة ، لا تلهينا عن احبتنا ودعينا في احضانهم ، ايرضيك قولي ؟

احليا

اجل يرضيني ، لكن ارى ان الطبيعة الهتنا عن انفسنا كما قلت . تعالي .

سلفيا

لكن بشرط .

احليا

ما هو ؟

سلفيا (في غنج)

ان تضمني اليك ، فاني احس ببرد .

احليا (فرحا)

اذن تعالي .

(يتعانقان)

هاتي يديك .

(يفركهما بحرارة)

ما هاتان اليدان اللطيفتان ؟ دعيني اقبل .

(يقبلهما . تحمر وجنتا سلفيا)

ما لوجنتيك احمرتا ، اترين ؟ ان بصري حاد . لقد رأيت في الدجى .

سلفيا (باسمة)

لا تنس ما فوقك ؟

احليا

ماذا فوقي .

(يتلفت)

لا شيء .

سلفيا

البدر . أترى ان انفسنا الهتنا عن الطبيعة .

احليا

واحدة بواحدة اذن .

سلفيا (يداها بين يدي احليا وعيناها الى الافق . . . . .)

انظر يا احليا . ارى غيوما بيضاء تنثر في السماء ، لعلهـا فراش البدر الوثير . انها ناصعة البياض كالقطن المندوف .

احليا

ليت سريرة الانسان تبقى ابداً في نقاوة هذه الغيوم .

سلفيا

كدت اقول هذا ، سبقتني اليه .

احليا

ارده اليك ، اشهدي اني لم اقله ، قوليه .

سلفيا

لا اريد ، كنت اود ان ابدهك به قبلا ، اما الان فلا !

احليا

سلفيا ، ألا ترين الغيوم ؟ يظهر انها تريد غير ما بدت به اولا . انها غطت البدر ، وقد شحبت اشعته البراقة .

سلفيا

صحيح ، يؤسفني ان اري البدر تحجبه الغيوم !

احليا

كذلك انا ، يؤسفني ان اراه خاسفاً !

سلفيا

وان اراه ايضاً آفلا ! آه ! اني احس ببرد ، ضمني اليك .

احليا

تعالي يا حبيبتي .

(يضمها الى صدره)

سلفيا

لا يزال البرد يسري في جسمي ، ضمني بقوة !

احليا

اخاف ان اؤذيك !

سلفيا

لا تخف ، ضمني .

احليا

قومي ندخل الغار !

سلفيا

هيا !

(يدخلان الغـار في ارتعاش ،
تسمع اصواتهما من الداخل ..)

احليا

آه ! ما الذ عناقك يا حبيبتي !

سلفيا

اني مسرورة ، اني مسرورة !

(بعد منتصف الليل ينهض احليا
مضطربا ، يكاد لا يصدق ما يرى
كأنه في حلم: السماء متلبدة بالغيوم
البحر هائج ، البرق والرعد
يتلاحقان ، المطر بينهما هطال !)

احليا (مطلا من باب الغار)

عجبا ! ما هذا ؟ ما كنت احسب الطقس يتبدل بهذه السرعة !
هذا البحر الذي كان يمتد في هدوء في نور البدر ، يمتد الان في جنون
في ظل الغيوم !

(تهب ريح باردة)

هذه الريح العاتية هي التي اثارت كل هذا ! اخشى ان يمنعنا المطر
عن الخروج !

(يرنو الى سلفيا)

اما انت يا حبيبتي فنتامين لا تعلمين بما جرى !

(يدنو ليقبلها، يحس وقوف شعرها)

انك تبردين ولا شك يا حبيبتي . حقا ان دفقات الريح تدخل الغار بالصرير والبرد ، دونك قميصي هذا !

(يخلع قميصه ، واذ يضع القميص
تبرق السماء، ويدوي رعد شديد
تهب معه سلفيا مذعورة . . .)

سلفيا

ماذا جرى ؟ لعلهم قبضوا علينا ! آه يا حبيبي !

احليا

لا تخافي يا سلفيا ، لم يأت احد ، هو الرعد يلعلع في السماء ، انقلب الطقس مكفهراً بعد ان كان رائقاً .

سلفيا (ترتجف)

مالي ارتجف ؟ لعلي بردت في النوم !

احليا

البسي قميصي ، انت بحاجة الى ثياب غليظة .

سلفيا

وانت، أتبقى معرضاً للبرد؟لا ، ابقه عليك !

احليا

البسيه ، انك ترتجفين .

(تلبس القميص)

سلفيا

كنت خائفة ، قل لي ماذا جرى ؟

احليا

لا تخافي يا حبيبتي ، أكنت تحلمين ؟

سلفيا

اذن لم يجيء احد ؟

احليا

قلت لك: لا ، ياحبيبتي .

سلفيا

اذن كان حلما ما رأيت .

احليا

ماذا رأيت ؟

سلفيا

اخرج قليلا وانظر : هل هناك احد ؟

احليا

قلت لك : ليس هناك احد ، لا تخافي . هذه الريح تهب بعنف .

والرعد يجاجل في السماء . لم يأت احد يا سلفيا فلا تخافي .

سلفيا

اخرج وانظر .

(يخرج احلياء تبرق السماء ، فيرى البحر هائجـا تتلاطم اواذيه)

احليا (داخلا)

ها قد خرجت ، لم ار احداً . أتعرفين ، رأيت البحر هائجـاً تصطخب امواجه وتتكسر على الصخور .

سلفيا

لم كل هذا ؟ اني خائفة !

احليا

من اي شيء ؟

سلفيا

من تبدل الجو ، ترى غضب الله علينا اذ فررنا .

احليا

هل تحسبين الله يغضب لامور مثل هذه ؟

سلفيا

اذن ، لم الهياج في كل شيء ؟

احليا

من يدري ؟ لعل ذلك لاختبارنا !

سلفيا

يمكن ، لكن اخاف !

احليا

ترين ، لم الخـوف ؟ ان السماء تكف قريبـاً عن المطر ، ويقر البحر مكانه في خضوع ، لا تخافي .

(تهب ريح عنيفة، تدحرج صخراً
كبيراً يهوي الى البحر في قرقعة
شديدة . . . . .)

سلفيا

آه!هيا بنا ! اخشى ان يهدم الغار علينا ! هيا بنا !

احليا

تجلدي يا سلفيا ، ارى ان الحلم أثر فيك كثيراً ، اسمعي ها قد هدأت الريح قليلا ، وانقطع المطر ، وخفت هدير البحر ، لا تخافي اذن ، قريباً يهدأ كل شيء ، قولي لي الان ما رأيت ؟

سلفيا (في قليل من الاطمئنان)

اتذكر يوم وقفنـا نطل على الوادي ؟ اتذكر كم كان عميقـا ؟ اتذكر ان ظلينا كانا لا يُريان الا قليلا ؟ لقد رأيت الوادي مظلماً ، شديد الظلام ، حتى ليدور رأس الناظر فيه لعمقه وظلامه . كنت

واقفة هناك انتظرك . فرأيتك آتياً في رقيق النور . فما ان وصلت حتى ملنا على بعضنا نتعانق . فما شعرنا الا ويد قوية تفصلنا ، وصوت عظيم يهيب بنا :

ـــ ماذا تفعلان هنا ؟

قلت انت له :

ـــ ما الذي ترى !

فاجابك بشدة :

ـــ حاذر مرة ثانية ان تجتمع بهذه هنا !

فاجبت انت :

ـــ لكني لا استطيع ان اجتمع بها الا هنا !

صرخ بك شديداً :

ـــ اذا انت عدت الى هنا ومعك هذه الفتاة ، فاني القي بكما في هذا الوادي السحيق . افهمت ؟

ثم رفع كلانا بيد واهوى بنا الى الوادي . وقبل ان يفلتنا صحوت فرأيتك قائما فوق رأسي . ماذا ترى؟

احليا

اضغاث احلام ! ان الانسان اذا اراد ان يفسر احلامه ويجدلكل هواجسه تأويلا ، عاش كالقشة الطائرة على متن الريح !

سلفيا (في رعشة)

اسمع ! لقد عادت الامواج الى اصطخابها ، وراجعت الريح ولولتها ، وتلاحق البرق والرعد ، وتقاطرت الغيوم على الارض : آه يارب ! ماذا تفعل ؟ ابعيد منا مطلع الفجر ؟

احليا

لا تخافي . ان الفجر قريب .

سلفيا

يخيل الي انا لن نرى الشمس طالعة ! ما للسواد يتكاثف ؟

احليا

هو كذلك قبل بزوغ الفجر !

سلفيا

رباه ، عجل بالنهار ! ترى لو اقمنا هنيهة نصلي لربنا الا يرق لحالنا ، فيهديء العاصفة لنا ؟

احليا

كذلك الانسان لا يذكر ربه الا عند حاجة !

سلفيا

مع اني لم انسه في حياتي . الست استرشد به في كل شيء ؟ الا استفتح كل شيء باسمه ؟

احليا

انت اذن تفعلين هذا ! ما كنت لتفعليه قبلا !

سلفيا

انت تظلمني يا حبيبي . الا اصلي اذن ؟

احليا

لماذا ؟ صلي واني اصلي معك .

(يصليان ، كل في نفسه ،
صلاة حارة . . . . .)

(تزداد الطبيعة هياجاً وثورة)

سلفيا (في خوف)

آه ! انظر . هذا رشاش الموج يسف وجهينا . ماذا نفعل ؟

احليا

لا شيء سوى الانتظار .

سلفيا

لكن الانتظار صعب .

احليا

ليسهله الانسان اذا لم يكن منه بد . انظري الا ترين الاشياء بدأت تظهر قليلا ؟

سلفيا

صحيح ! اذن ستطلع الشمس !

احليا

لكن تظل كانها ليست طالعة !

سلفيا

لماذا ؟

احليا

لان الغيوم قائمة في وجهها !

سلفيا (في لهفة)

لكننا نريد ان نخرج من هنا ، ان نترك هذا الغار !

احليا

اصبري !

سلفيا

اني خائفة ! ترى اذا دروا بنا ماذا يفعلون ؟

احليا

لا ادري ! هل يفعلون اكثر مما فعلوا ؟

سلفيا

وماذا فعلوا ؟

احليا

حجبوك عني . مع ذلك تمكنت من رؤيتك !

سلفيا

واذا ابعدوني ماذا تفعل ؟

احليا

اسعى وراءك . ثم اذكرك حتى تعودي الي !

سلفيا

واذا لم اعد ؟

احليا

لم هذا السوآل ؟

سلفيا

لا لشيء . بماذا تجيب ؟

احليا

تسود الحياة في عيني .

سلفيا

لا لا ! اعود اليك يا حبيبي ولو اقاموا بيننا سدوداً !

احليا (ناظراً الى الافق)

انظري . الا ترين هناك شيئا ؟

سلفيا

ارى . لكن ما هذا ؟

احليا

احسب ان هذا مركب تتلاعب به الامواج !

سلفيا

الا يمكن ان يكونوا هم فيه ؟

احليا

ومن انبأهم انا هنا ؟

سلفيا

لقد سمعتك الخادمة عندما قلت لي :

ـــ هيا الى شاطيء البحر .

فلعلها اخبرتهم فاتوا يبحثون عنا هنا !

احليا

وهل يستطيعون ان يصلوا الينا ؟

سلفيا

من يدري ؟ الا ترى ان وجهة المركب الينا ؟

احليا

انظري . قد اداروه جهة الشاطيء .

سلفيا

اذن نجونا منهم !

احليا

والحمد لله .

(يهيج البحر كالمجنون)

(تتدافع امواج البحر الى الغار)

سلفيا

متى يا رب تنتهي هذه العاصفة ؟

احليا

حتى تحس وهناً في اعضائها !

سلفيا

متى يكون ذلك ؟

احليا

الله أعلم !

سلفيا

اتري ؟ هذا سرب من الطيور قادم الينـا . ترى ايكون طليعة خير ؟

احليا

اظن ذلك . هو سرب حمام . انتظري حتى نرى .

سلفيا

انه دنا ! لعله لم يجد صخرة يستقر عليها او غارا يأوي اليه . في

هذه العاصفة !

احليا

كما قلت يا سلفيا .

(تصل اولى الحمائم الى الغار .
تجفل اذ ترى سلفيا واحليـا .
ترتد هاربة فيلحق بها السرب)

سلفيا

ارأيت ؟ لقد اجفلت الحمائم منا !

احليا

مع انا آمن جانبا من غيرنا واحنى عليها .

سلفيا

هل تعرف هي دخائل النفوس ؟

احليا

ان الانسان يجهلها فكيف تعرفها الحمائم ؟

سلفيا

ترى لو دخلت الحمائم ، أما كنا نأنس بهديلها ؟

احليا

لكن ماذا تريدين ، هي تحسب الناس سواء . هي لم تألف من

الانسان رقة الملامسة . فكيف لا تحسبنا نريد بها اذى؟

سلفيا

انظر . غاصت اقدامنا في الماء .

احليا

تعالي احملك على كتفي .

سلفيا (نافرة)

لا ! دعني هنا .

احليا

اخاف عليك .

سلفيا

لا تخف . اني استعدت شجاعتي .

احليا

الا تعرفين السباحة يا سلفيا ؟

سلفيا

قليلا . وانت الا تعرفها ؟

احليا

قليلا . مثلك يا سلفيا .

سلفيا

لكني اسبح جيدا اذا اقتضى الامر .

احليا

كيف ذلك ؟

سلفيا

اتعجب ؟ لا تعجب . انك معي !

احليا

وانا اسبح جيدا .

سلفيا (في رقة)

ألأني معك ؟

احليا

نعم ! لانك معي يا سلفيا !

(يضحكان في مرارة)

(تدخل الغار موجة كبيرة
فتغمره . يغوص الاثنان في الماء)

احليا (وهو في الماء)

اين انت يا حبيبتي ؟ تعالي .

سلفيا (بعيدة عنه)

سآتي . ابق مكانك .

احليا

الا آتي اساعدك ؟

سلفيا

لا ، ابق مكانك . وانا آتي اليك.

احليا

اسرعي اذن .

(لنفسه)

لقد وقع ما كنت اخشاه ! هذا البحر الجبار يغمرنا في قوة !
اخاف ان يبتلعنا منفصلين !

(لسلفيا)

اين انت يا سلفيا ؟ اسرعي .

سلفيا

اني مسرعة ... انظر .

(يتعالى رعد يضيع معه صوت
سلفيا . . . . .)

احليا (في فزع)

اين انت ؟ اجيبي !

سلفيا (في صوت ضعيف)

هنا . لا تخف . هنا .

احليا

آه . اين انت ؟

(يتلفت . يرى سلفيا خارج
الغار . . . . .)

سلفيا

وداعا يا حبيبي !

احليا (كالمجنون)

آه ! في البحر . هذا الذي فصلنا ليبتلعنا ! لا ! ايها البحر ، انت اعجز من ذلك . لن تفصلنا ...

(يندفع وراء سلفيا . يتخبط في
الامواج . . . . .)

السراب

باطل الاباطيل . الكل باطل !
ما الفائدة للانسان من كل
تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ؟
دور يمضى ودور يجىء .
والارض قائمة الى الابد !

« مزامير »

قافلة الحياة في سيرها نحو السعادة

(قهقهات رنانة في الجو . اصيل
احمر دام . طائفان . . . . .)

الطائف الاول

عجبا ! ما لك تضحك ؟

الطائف الثاني

مالي اضحك ؟ تسألني كأنك لا ترى !

الطائف الاول

اي شيء ارى ؟ اترى انت شيئا لا اراه انا ؟

الطائف الثاني

اذن التفت يمينا وانظر .

(يلتفت الاول فيرى قافلة آتية
في بطء على ما تبذل من جهد)

الطائف الاول

آه ! ما هذا ؟

الطائف الثاني

قل لي الان : اكنت ترى هذا قبلا ؟

الطائف الاول

لم اكن اراه . من اين نبت هذا الجمع ؟

الطائف الثاني (ساخرا)

انت لا تفهم شيئاً كما ارى . الم يأتك نبأ العطاش ؟

الطائف الاول (في دهشة)

العطاش ؟ من هم هؤلاء العطاش ؟ لاي شيء هم عطاش ؟

الطائف الثاني

الم اقل لك انك لا تفهم ؟ اصبر . سوف تفهم .

الطائف الاول (في حيرة)

حقاً لا افهم ما ارى . ابن لي .

الطائف الثاني

اما انا فقد راقبت من امد طويل سير هذه القوافل . اترى هذه القافلة القادمة ؟ انظرها جيداً . هاها هه !

الطائف الاول

عدت الى الضحك ؟ لم تضحك ؟

الطائف الثاني

الا يضحك مرآى هذه القافلة ؟ الا يضحك هذا القطيع الشارد؟ الا يضحك قطيع غاب راعيه ؟ انا اضحك لهذا .

الطائف الاول

اما انا فلا افهم سبب الضحك !

الطائف الثاني

انهم حيارى ! ألا يضحك منظر الحائر ؟ هو لا يعلم ما يفعل ! هم كذلك لا يعلمون ما يفعلون ! اتعلم الى اين ذاهبون ؟ اعتقد جيداً انك لا تعلم ! اذن اقول لك انهم يريدون النهر ! هم عطاش . لذلك يريدون بلوغ النهر ! اتعرف اي نهر ؟ هذا الذي يلوح في الافق ! هم يريدون ان يغرفوا من مائه ما يروي غلتهم ! لكن لن يصلوا اليه . هو قريب منهم ، لكن عيونهم لا تراه ، مساكين !

الطائف الاول

لئن تقول هذا افضل من ان تضحك ساخراً ! لكن قل لي : لم لا يدركون النهر وهم سائرون اليه ؟ انظر ، هم يستعدون للترامي على حافته ، يغطون وجوههم في صفحته .

الطائف الثاني

اصبت ! لكن انظر . ألا ترى الشمس تتحدر لتغيب ؟ ألا تحس

الظلام يقوى ؟ ان نور الشمس اذا اختفى ، اختفى معه بريق الماء . يذوب النور فيختفي البريق . لا النهر يلوح في الليل بلمعانه ، ولا هم يجسرون ان يتخطوا حدودهم في الظلام .

الطائف الاول

لم لا ينتظرون البدر ؟ البدر يشع على الماء فيلمع !

الطائف الثاني

البدر ؟ اصبت ! لكن الا تراهم ترنحوا نعاساً ؟ لا تغيب الشمس حتى يتراموا في سبات عميق !

الطائف الاول

مساكين ! انظر ، لا ترى الا وجوها الى السماء واشداقا مفتوحة !

الطائف الثاني

هم يظنون ندى الليل يبل افواههم ! او يحسبون غيوم السماء تعطف عليهم فتتقاطر على اجسامهم المحروقة ! لو ترى عيونهم في جحوظها تفزع لمرآها ! لا ادري ما الذي يدفع بهم الى سلوك هذا الطريق ، وهم لو تريثوا لوصلوا الى ما ارادوا ولكن في حياة ثانية !

الطائف الاول

ليتنا ندنو منهم لنرى بجلاء !

الطائف الثاني

ندنو منهم ! لا نستطيع ، هيا بنا نحلق فوقهم ، سترى عيونهم

لماعة في الغلس كعيون الوحوش .

الطائف الاول

هيا بنا !

(يغور الطائفان في جوف الليل)

(بكرة طرية وضيئة ، كتلة
سوداء تلوح بعيداً ، همسات
في الجو . . . . .)

الطائف الاول

ما لك توقفت هنا ؟ هيا بنا !

الطائف الثاني

الا تود رؤية هذه القافلة ؟ رأيت قافلة الامس في المساء، واليوم
أشاهد الثانية في الصباح .

الطائف الاول

دعني من هذا، ان نفسي حزينة مما رأيت ، اتود ان ترهقني حزناً
اليوم ؟

الطائف الثاني

تحزن ؟ ما اغرب طبعك ! هل لنا الا ان نشاهد هؤلاء الناس
فنضحك عليهم ؟

الطائف الاول

انني لا اقدر ان اضحك في كل وقت .

الطائف الثاني

كأني بك تريد ان تغير طبيعتك !

الطائف الاول

دعني من كل هذا ! هيا بنا الى ناحية اخرى !

الطائف الثاني

اتدري ؟ رأيت البارحة القافلة بمجموعها، وسترى اليوم فلول هذه القافلة . ان أثر الكل اقوى من أثر الجزء ، فلا تحزن !

الطائف الاول

آلمتني رؤية تلك الاشلاء المبطوحة على بساط الصحراء ، ما كان اروعه منظراً منظرها وقد أطل القمر في جلال وكآبة يصب شعاعات حزينة ! كنت ترى رأساً يغمره التراب ، وجسداً منتفخاً ، وعيناً اطفأها الظمأ ، ويداً مشنجة تشهد الوجود على انها ذهبت ضحية ! اروع منظر ، منظر تلك الفتاة متعلقة بقدمي حبيبها ترجو منه غوثاً. حبيبها غارق في التراب وهي تنهشها الضباع . اما طيور السماء فما كانت لتغط الا على جسد ناعم . كانت تبحث عن اشلاء الصغار تلتذ بلحومها الطرية . اما انت فكنت تتلهى بالصفير تجفل به الطيور المحومة .

سر بنا ، اترك هؤلاء الناس ، أوه !

الطائف الثاني

تتأوه ! ما لك ؟

الطائف الاول

وددت لو هديت هذه القافلة ! انظر انها تميل يميناً ، وغايتها الى اليسار .

الطائف الثاني

اتريد ان تهديهم ؟ ألا ترى دليلهم !

الطائف الاول

انه هو الذي يضلهم ! بئس الدليل اذا جهل الطريق !

الطائف الثاني

لو درى بك الدليل لاضمر لك الشر .

الطائف الاول

ترى ماذا يهمني ؟

الطائف الثاني

دلهم اذن على الطريق !

الطائف الاول

حاذر يا رجل ! سر الى اليسار !

الطائف الثاني (ساخراً)

ها ها هه ! اتحسب انه سمعك ؟ اين انتما من بعضكما !

الطائف الاول

آه ! غاب عن ذهني ، لكن انظر ، انه يشط في السير ! وددت لو اني معهم او انهم معي !

الطائف الثاني

أتظن ان الحالة تبقى كما هي الان ؟

الطائف الاول

من يدري ؟ ان اشد الالم على النفس ان تريد هدى نفس اخرى وتغرق هذه في الضلال ! اني اتألم من منظر هؤلاء ، سر بنا ، او ابق وحدك !

الطائف الثاني

تنح قليلا حتى تمر القافلة ، وسر نشاهد فلولها !

(تمر القافلة في جلبة تصم الاذان
تلوح خلفها بقايا ٠٠٠٠٠)

(يمر اب ، يجر اولاده الثلاثة)

الطائف الاول

انظر هذا المجنون ، ان اولاده معه .

الطائف الثاني

لا تقل مجنون ، أندري ما حمله على هذا ؟

الطائف الاول

سراب خداع ، لا شيء غير هذا .

الطائف الثاني

انه دنا ، اصغ !

الاب

هيا يا صغاري ، هيا !

الولد الاوسط

الى اين ذاهبون نحن يا ابتاه ؟

الاب

الى مكان كله جمال وخيرات .

الولد الكبير

الا يزال بعيداً هذا المكان يا ابتاه ؟

الاب

لا يا بني ، انه قريب ، نصل اليه قبل الغروب .

الولد الاوسط

وهل لنا هناك بيت ننام فيه يا ابتاه ؟

الاب

نبني لنا بيتاً لدى وصولنا يا بني !

الولد الكبير

انبنيه في الليل ؟ ان الوحوش هنا كثيرة واخاف ان تفترسنا !

الولد الاوسط

نعم يا ابي ، اخاف ان يأكلنا الذئب ، هذا الذي قالت لي امي يوما انه يسكن في الصحراء وتلمع عيناه في الليل ! ألا يأكلنا الذئب يا ابتاه ؟

الاب

لا تخافا ، يا ولدي ، فانا معكما !

الولد الصغير

هل هناك ماء يا ابتاه ؟ ان ريقي جف .

الولد الاوسط

وانا ايضاً يا ابتاه . أعذب ماء ذاك المكان ؟

الولد الكبير

ايوجد هناك ماء كثير يكفينا ، لاني انا الاخر ظمآن .

الاب (في حيرة)

نعم ، يا اولادي ، هناك ماء غزير عذب وستشرب لدى وصولنا !

الولد الصغير

الا يحسن بنا ان نرجع يا ابتاه ؟ ففي بيتنا ماء كثير ، وفواكه لذيذة . وهناك فوق ضريح امي حورة وصفصافة نتفيأ ظلالهما افضل من ان نمشي هنا في الصحراء تحرق اقدامنا ، وتلفح الشمس وجوهنا هيا بنا لنرجع يا ابتاه !

الولد الاوسط

هيا بنا لنرجع يا ابتاه ، اني اخاف من الذئب !

الولد الكبير

اذن لنرجع يا ابتاه ، طالما ان المكان بعيد !

الاب

لا يا بني انه قريب ، سوف لا ترى الذئب ، وسنجد ماء صافيا .

الولد الصغير

اما انا فاني تعبت ولا استطيع السير في هذا الحر . الا ترى

الشمس عتدلت في السماء وصبت اشعتها الحامية ؟ لا استطيع المشي دعوني هنا واذهبوا .

الاب

تعال يا بني ، تشجع ، تعال احملك على كتفي .

(يرفعه فوق كتفيه)

الاثنان

ونحن تعبنا يا ابانا !

الاب

ما معنى هذا ؟ ماذا تريدان ؟

الولد الاوسط

المس رأسي تجده كالنار ! لا استطيع .

الولد الكبير

وانا احس بدوار في رأسي ! لعل ضربة شمس اصابتني !

الاب

انظروا هناك ، ألا ترون طيف الماء ؟ لقد وصلنا !

الولد الاوسط

والله يا ابي ارى هذا الطيف من امد ! وهو لا يزال مكانه وتمتد تحتنا الصحراء ! هيا بنا نرجع !

الولد الكبير

ألا يكون افضل لو رجعنا ؟

الاب

وهل انا مجنون لارجع بعد ان كدت اصل ؟ هيا يا اولادي !

انولد الاوسط

لا اقدر !

الولد الكبير

وانا ايضاً !

الاب (للصغير)

انزل انت.

(ينزله)

(للجميع)

سيروا جميعاً !

الثلاثة

لا نستطيع !

الاب

اذن ابقوا هنا ! لولاكم لوصلت . انا ذاهب !

(يمضي مسرعا)

الولد الصغير

ابتاه ، ابتاه ، قف ، انتظرني !

(يلحق به ولداه)

الولد الاوسط

ابتاه ! اتتركنا هنا ؟ ماذا نفعل اذا اتى الذئب ؟

الولد الكبير

انبقى هنا ؟ لا نجسر ان نعود ولا ان نتقدم؟ابتاه، اصبر، سآتي معك .

الولد الاوسط

وانا أيضاً اصبر .

(يعودان ، يسمع صوت الصغير
مخنوقا بالعبرات . . . . .)

الولد الصغير

قف يا ابتاه ، قف قليلا ، إني اموت عطشاً ، آه يا رب .

(يختفي الجميع ،تذوب الاصوات)

(همسات في الجو، وهج في الارض)

الطائف الاول

لعلك مسرور بهذا !

الطائف الثاني

وانت ألست كذلك ؟

الطائف الاول

ما اقساك ! هيا بنا !

الطائف الثاني

تريث قليلا !

الطائف الاول

انا لا اطيق هذا ! ارى العذاب يحل بالناس ولا اخفف بلواهم ، هذا اشد ما اتعذب به .

الطائف الثاني

دعك من هذا .

الطائف الاول

سر بنا ، او اسير وحدي .

الطائف الثاني

اصبر ، الا ترى ؟ شيء جديد ، تمتع الطرف برؤيته .

الطائف الاول

ما هذا ؟ آه :

الطائف الثاني

اترى ، هؤلاء صبية يجرون امهم ، سنرى ما بهم .

(ام يجرها صبيتها ، هي تمانع ،
لكن تجاريهم خوف ايلامهم)

الصبية جميعاً

اسرعي يا امنا اسرعي !

الولد الكبير

أنظل متأخرين ؟ لولاك لكنا في الطليعة !

الام

ابقوا هنا يا اولادي ، لا تذهبوا بعيداً في الصحراء . انها واسعة وبوسعها ان تضم الملايين !

الولد الكبير

انها تضم الاموات ، لا الاحياء يا اماه !

الام

طبعاً يا بني ، لكن قلبي يحدثني !

الولد الكبير

كذلك قلب النساء ، اسرعي ، لقد سمعت ابي في حياته يقول

هذا ، اسرعي !

الولد الصغير

اماه ! لا اطيق الصبر ، صبرت كثيراً ، اني عطشت فاسقيني .

الام

من اين اسقيك يا بني ؟ ليس معي ماء ، اصبر ، سنصل الى النهر .

الولد الصغير

لكني عطشان ، عطشان ، اسقيني .

الام

رباه ! ماذا افعل ؟ اما قلت لكم يا اولادي ابقوا هناك؟ انتم دائما هكذا : لا تطيعون لي امراً ، كأني لست امكم . اين مضى ابوكم وتركني ؟

الولد الصغير

اماه ! اسقيني .

الام

تعال يا ولدي ، خذ ثديي وارضع !

(تكشف له عن ثدييها ، يمتص
الولد الثدي . . . . .)

(تخاطب نفسها)

ترى، ايدر له الثدي ؟ أتشفق علينا يا رب ؟

الولد الصغير (في حدة)

ماذا تريدين ان ارضع يا اماه ؟ ليس في ثديك لبن ، عطشان !

الام (باكية)

ماذا افعل يا بني ؟

الولد الصغير

اماه ، عطشان ، عطشان ، اسقيني !

الام (في نشيج)

انتم يا اولادي ، ليسرع احدكم الى البيت ويأت بكوز ماء !

الولد الكبير

اصبر يا اخي ، كلنا عطاش ، اصبر !

الولد الصغير

عطشان ، آه !

الام (تخاطب الكبير)

اذهب يا بني وآتني بكوز ماء .

الولد الكبير

انا ؟ لا اروح .

الام (تخاطب الثاني)

اذهب انت اذن يا حبيبي !

الثاني

لا والله ! لا اخطو خطوة !

الام (تخاطب الثالث حزينة)

طيب ، اذهب انت .

الثالث

انا لا اجسر ان اروح !

البنت

انا اروح يا اماه !

الام

انت تروحين ؟ لا ! تذهب البنت وتبقون انتم يا ملاعين !

الولد الصغير

عطشان ، عطشان .

البنت

قلت لك : انا اروح يا اماه ، دليني على الطريق .

الام

انت ؟ وحدك ؟ يا ويلتاه !

البنت (في انطلاق)

لا بأس يا اماه ، نحن في النهار !

الولد الصغير (في ضعف)

اسقوني ، اسقوني !

الام

اذن ، اذهبي يا بنيتي .

البنت

من اين اروح ؟

الام

من هذه الطريق ، انها اقرب ، لكن اسرعي !

البنت

انا ذاهبة يا اماه بكل سرور ، وداعا !

(تنطلق مسرعة فتختفي بين امواج
الرمال . . . . .)

الولد الكبير

اسرعي يا اماه ! ألا ترين انا تأخرنا ؟ لقد رأيت ابناء جارنا خلف هذه الهضبة البعيدة من مدة .

الثاني

نعم اسرعي يا اماه !

الام

الا تريان اخاكما ؟ آه ! ما له ؟

(تخاطبه وقد جحظت عيناه)

مالك ياحبيبي ؟ اصبر، ذهبت اختك لتأتي بالماء . الان تجيء اصبر.

الولد الصغير (في صوت خافت)

عطشان !

الام

سلمت يا حبيبي ، ستأتي اختك بالماء ، ستشرب .

الولد الصغير

اماه ! عطشان ، آه !

(يلفظ الروح)

الام (تجس الصغير)

اتسمعني يا حبيبي ، انا امك . لماذا لا تجيب ؟ انت عطشان !

(تتلفت حولها كالمسلوبة)

ألم تأت اختكم ؟ لقد ذهبت تجلب الماء ، ألم تأت ؟ لكن انت يا صغيري ، انت تنتظر الماء ، اختك لم تجيء . لا ، لا ، جاءت ، ها هي . اقتربي من اخيك واسقيه ، الا ترتوي ؟ اجبني ، انت ميت ! لم لم تصل اختك قبل ان تموت ؟ آه !

(تحنو على الصغير)

يا حبيبي ! ألا تشرب ؟ هذا دمي يرويك !

(تستوي قائمة)

ايتها الصحراء لست شيئاً ! انت المترامية الاطراف انت الواسعة، انت التي تتململين في وهج الشمس ، انت الكبيرة ، انت خالية من قطرة ابل بها ريق ابني العطشان !

(تخاطب اولادها)

اخوكم عطشان ! اتسمعون ؟ يريد ان يشرب ، آه ، نسيت ! تريدون ان تسرعوا ، ها ها ، اسرعوا .

(تخلع نعلها . تلقي نظرات ضائعة
الى كل مكان . تعدو . يعدو
خلفها اولادها . . . . .)

الام

انت عطشان يابني ، انا اسقيك ، اسرعوا يا اولادي .

الاولاد

يا فرحتنا ، سنصل قبل ابناء جارنا .

(تغور الاصوات، كما تغور الاشخاص)

(همهمة خفيفة)

الطائف الاول

والان أأرضاك كل هذا ؟

الطائف الثاني

انا اولى بطرح السؤال عليك !

الطائف الاول

انعلم ان هؤلاء الصبية كانوا قساة ؟ وتلك الفتاة، ما ترى حل بها؟

الطائف الثاني

ما يحل برائد الصحراء .

الطائف الاول

ما اتعس هذا !

الطائف الثاني

اوه ، انظر ، هذا منظر جميل ، منظر عاشقين ، اترى ؟

الطائف الاول

دعني من العشق والعشاق .

الطائف الثاني

لم اذن ؟ ان العشق ألذ ما في الحياة .

الطائف الاول

ابدا ، انه عذاب فوق عذاب .

الطائف الثاني

على طريقتك الفلسفية طبعاً ، ان الفرد اذا تناول الحب وناوله ولم يحاول ان يزحزحه عن موضعه ارتاح وسعد ، اما اذا كان يريد ان يحمله ما لا طاقة له به ، فلا هو يرتاح ولا الحب يبقى حبـا ، انظر هذين العاشقين ، ما ترى فيهما ؟

الطائف الاول

ارى انهما مجنونان ، كان الاجدر بهما ان يبحثا عن خلوة اجمـل وآمن من هذه .

الطائف الثاني

او تحسب انهما يريدان خلوة ؟ لا ، انهما نائران كما سار غيرهما ، اسكت ، ها هما .

(تدخل فتاة حلوة ، تتوثب الما
ودلالا ، يرافقها فتى وسيم الطلعة)

الفتاة

اف ، ها ، ما اشد حرارة التراب ! لقد احترقت قدماي !

الفتى

الم اقل لك ستحتاجين الى نعليك في الطريق فابيت الا خلعهما ، فاضطررت الى خلع نعلي اقتداء بك !

الفتاة

وهل كنت اظن اني سامر فوق ارض ملتهبة مثل هذه ؟

الفتى

كيف اذن تكون ارض الصحراء في وهج الشمس ؟

الفتاة

ساحني ، ساتحمل الحر في سبيلك يا حبيبي !

الفتى

وهل تحسبين اني لا اتألم انا ؟ اني اتألم ألمين : الحر يحرق قدمي وعذابك يعذب نفسي .

الفتاة

لا بأس يا حبيبي ، ساتحمل ، لكن ، آه رجلي !

(يلتفتان الى رجلها ، فاذا بها دامية غرست فيها شوكة حادة)

الفتى (نازعا الشوكة)

ألم اقل لك سيري على مهل ، فابيت الا الاسراع والتوثب !

الفتاة (باكية)

وهل كنت ادري اني ساصاب بكل هذا ؟

الفتى

انت لا تقدرين على السير بعد هذا . آه ، أتدرين ؟ كان ينبغي ان نسرع فان القافلة سبقتنا بمراحل عديدة ! اصبري قليلا ! انظري هذا الكثيب ، سامضي ابحث خلفه عن جلد حيوان تنتعلينه ، اصبري .

الفتاة

لا تعذب نفسك يا حبيبي ، ساعتمد على ذراعك واسير معك !

الفتى

لا ، اياك ! اذا فعلت هذا فقد يلحق بك اذى : اصبري لعلي اجد لك جلدا ، كنت اود لو احملك على ظهري ، لكن الشوط بعيد ،

والحر شديد ، انا ذاهب .

الفتاة

لا تتوان يا حبيبي لئلا نترك وحدنا في الصحراء !

الفتى

ارجع حالا ، لحظة !

(يمضي الفتى ، تجلس الفتاة
وتستر رأسها بثوبها . . . . .)

الفتاة (تخاطب نفسها)

آه ، يا حبيبي ، حقاً انك تتعب في سبيلي ! لا ازال اذكر يوم عرضت حياتك للخطر من اجلي . كنا يومئذ في بستان : البستان الذي تفتح فيه حبنا كما تتفتح فيه الازهار . كان الوقت ضحى . وكنا جالسين في ظل شجرة التفاح ، نتأمل جمال الاثمار وحسن تكوينها . كان الجدول يمر قريباً ، مرسلا خريره العذب الممزوج بزقزقة العصافير في جنبات البستان .

كنت يومئذ كالمجنونة ، كنت اريد عصر حبيبي لاشربه شرابا مسكراً . كنت انظر اليه في نشوة واحتك بجسده القوي واضمه الى صدري ، اغمره قبلا .

اما حبيبي فكان مثلي ، عيناه كانتا تلمعان حتى اني خفت منهما قليلا ! كان يشدني ، يدغدغني ، حتى تمنيت ان اراه يتمتع بمضغ

لحمي ! سمعت قلبه يدق عنيفاً فقلت له :

ـــ اتدري يا حبيبي ؟

التفت الي دهشاً وقال :

ـــ ماذا بك ، أبك شيء ؟

قلت له باسمة :

ـــ لا يا حبيبي ! سوى ان اقول : ان قلبك يدق بعنف، يقر لي بحبك .

ابتسم وقال :

ـــ لو لم تقولي هذا لقلته لك ، اذن صدقي اني احبك .

قلت له في دلال :

ـــ وهل اشك فيه ؟ ابدا .

وملنا على بعضنا ، اعصره ويعصرني ، اقبله ويقبلني وكلانا مأخوذ باللذة . كنت حقاً مسرورة ، لم اذق سروراً كذاك السرور ولن يكون سرور اعظم منه الا سرورنا حين نصل الى النهر ونرتوي من مائه .

اما حبيبي الذي مضى الان يضرب في الارض يأتي لي بما انتعله . حبيبي هذا عرض نفسه في ذلك اليوم للموت دفاعا عني . ما ان انفصلت عنه حتى رأيت ثعباناً اسود يفح قادما الي ! وقف على ذنبه وهم بلسعي لولا ان هجم عليه حبيبي وامسك برأسه وخنقه . انجاني

من الموت يومئذ وها هو الان يتحمل في سبيلي العذاب ويمضي يبحث لي عن جلد .

لكن ما له لم يجيء ؟ ارى انه تأخر .

(تنهض مستوية على قدميها، تتلوى
من الحر فتجلس . . . . .)

ان الكثيب قريب ، مدى رمية حجر . ما له تأخر ؟ لعله لم يجد لي جلدا هناك فراح يبحث في مكان ابعد . لا ادري ، ترى أأصابه اذى ؟

(تتحامل على نفسها وتمضي الى
الكثيب تدور حوله فلا ترى احدا)

الفتاة (تنادي)

اين انت يا حبيبي ؟

(لا تسمع جوابا، تصعد الكثيب
وتجيل الطرف في كل الجهات
فترى الفتى بعيداً . . . . .)

الفتاة

تعال يا حبيبي ! لا تبحث لي بعد عن جلد ، تعال .

(يلتفت الفتى، يراها يولي هاربا)

الى اين ذهبت ؟ قف لي وآتي اليك ، انك تعدو هربا مني !
اتتركني وحيدة في هذا الخلاء الموحش ؟ من لي سواك ؟ آه يا
تعس طالعي !

(تجهش باكية ، تصرخ صرخة قوية
تلقي بنفسها من على الكثيب ،
تتدحرج حتى تصل الى الارض
مغمى عليها .....)

(يأتي رجل على ناقة يرافقه راجل)

الراجل

اتدري ان المسافة التي قطعناها لا تعد شيئاً بالنسبة لما سنقطع ؟

الراكب

ماذا يهم ؟ انت صبور كما قلت ، وانا صبور والناقة مثلنا ، كلانا يتحمل العطش !

الراجل

أتدري ان العطش بدأ يضايقني ؟ لكن ساصبر عليه كما قلت !

الراكب

أتدري ، هناك امر : اذا فزع الانسان من شيء بات هذا الشيء اشياء ، حاذر ان تذكر العطش لئلا نعطش فوق عطشنا .

الراجل

صدقت ! لكن نريد ان نتسلى !

الراكب

اذن نغني ، ان الغناء يسلي . ألا تعرف الحداء ؟

الراجل

لا اعرف الحمداء ولا اغني ، أتدري لماذا ؟ اتعب وينشف ريقي .

الراكب

صدقت ! اذن نظل ساكتين . آه ! أترى ، انظر ما هذا ، أليست جثة امرأة هذه ؟ هذه شعور امرأة الشعور المنفوشة هناك ، اذهب وانظر !

الراجل

لا والله لا اذهب .

الراكب

لماذا ؟

الراجل

ان الجنيات يظهرن غالباً بمظهر مثل هذا ليهزأن بنا ، ويضحكن على عقولنا ، فلن ادعهن يفعلن هذا بي !

الراكب

ماذا تقول ؟ لا افهم !

الراجل

من يدريك ألا تكون هذه المرأة المبطوحة هناك جنية تمثلت في جثة امرأة لتلعب دوراً علينا ؟ انا لا اجسر ان ادنو منها ، انزل انت !

الراكب

يا لك من جبان ! لو لم اكن راكباً لرحت ارى ، اذهب وانظر !

الراجل

قلت لك : لن اذهب .

الراكب

اذن اصبر ! سانزل انا لارى !

(ينزل عن الناقة ويترك لجامها
بيد الراجل ويمضي ليرى . يثب
الراجل على ظهر الناقة،يلكزها
بقدميه فتعدو به مسرعة ...)

صاحب الناقة

تعال انظر ، هذه امرأة ميتة !

(يلتفت)

آه ! قف ايها اللعين ، قف .

(يعدو وراءه)

الراكب

والله لن اقف ! سرت برفقتك ساعات ولم يمر ببالك ان تقول لي اركب دقيقة ، كيف اقف اذن ؟ سيري يا ناقة ! وانا احدو لك! ساتعلم الحداء الليلة !

(يظل صاحب الناقة عاديا صائحا،
يختفي الاثنان .....)

(قهقهات متقطعة في الجو)

الطائف الثاني

هذا جميل ! لقد احسن الذي اغتصب الناقة !

الطائف الاول

حقاً احسن ! ما كان اطمع صاحبها ! لو انه تخلى عنها ير كبها ذاك قليلا لما فعل ما فعل ، لكن !

الطائف الثاني

لقد فر بالناقة وترك صاحبها يتيه في الصحراء ! ماذا ترى ؟

الطائف الاول

اعترف باني حائر !

الطائف الثاني

انظر ، هذا منظر غريب ! أترى هذا الشاب كيف يجري خلف تلك الفتاة ؟

الطائف الاول

ارى !

الطائف الثاني

هذا منظر بديع ! اصبر .

(تدخل فتاة تلهث تعباً ، تقف لتستريح فيأتي شاب نحيل يلهث تعباً)

الشاب (يلهث)

لم فعلت هذا ؟ تذهبين وابقى وحدي ؟

الفتاة

اتظن ذلك ؟ كنت امزح !

الشاب

اتعلمين ، لقد حسبتك جادة ! ألاني اخشى على صحتي الرقيقة فلا اسرع ، تريدين ان تسبقيني ؟

الفتاة

وتعود فتقول : اني اريد ان اسبقك ! لا ، قلت لك ! كنت اريد ان اروض بدني قليلا .

الشاب

اما كفاك قفر لا نهاية له نقطعه حتى تروضي جسمك ؟ انك تريدين ان تهربي .

الفتاة

قلت لك لا .

الشاب

اذن تعالي ، والله تعبت !

(يضع رأسه على فخذها الطرية
فلا تمانع . . . . . .)

الفتاة

أتريد ان تنام ؟ ماذا دهاك ؟

الشاب

بالله دعيني اغف غفوة على فخذك الناعمة .

(يقبل فخذها)

الفتاة

اذن ، نم ، لكن قليلا .

الشاب

نعم ، قليلا ، قليلا !

(يستسلم للنوم)

الفتاة (همساً في سرها)

الان ينام فازيح رأسه عن فخذي واطلق ساقي للريح ! لله كم

يضايقني هذا ! كانت ايام كنت اريده فيها ، اما الان فلا ! اتحب امراة رجلا يطلب معونتها ؟ ليس فيه خير فلم ابقى معه؟ لأن افر منه ابحث لي عن رفيق يؤنسني في طريقي الى النهر ، افضل !

(تخاطب الشاب همساً)

الان اتركك هنا ! لن تراني بعد الان ، ستصحو من رقادك وتتلفت يميناً ويسارا فلا ترى الا الرمال تداعب الرمال !

(تضع رأسه على التراب بخفة ، تبتعد في سكون ثم تنطلق مسرعة)

(تصحو الفتاة الاولى . ترى
الشاب . تأتي اليه توقظه في
لطف . . . . .)

الفتاة

افق يا هذا !

الشاب

اصري قليلا . اني ارى حلماً لذيذاً . ارى انا بلغنا النهر وشربنا
من مائه النمير !

الفتاة

قم . ماذا بك ؟

(ينظر اليها الشاب دهشاً)

الشاب

هي ! اين هي التي احبها ؟ من انت ؟

الفتاة

اسكت ، كنت في طرف الرابية التي تراها هناك فرأيتك فجئت

اوقظك لئلا تضربك الشمس . انهض .

الشاب

لكن اين التي احبها ؟ تلك، اين هي؟

الفتاة

لم ار احداً . فمن هي ؟

الشاب

اذن تركتني نائما وراحت ! اين مضت وتركتني ؟ اهذا نصيبي منها وقد احببتها ؟ تتركني وتفر ؟ لكن من انت ؟

الفتاة

انا ايضاً تركني من احب . تركني وفر هارباً !

الشاب

انا ايضاً تركتني من احب . تركتني وفرت هاربة !

الفتاة

اذن نحن متساويان ! كنت اؤمل خيراً من حبيبي حتى فعل هذا !

الشاب

وانا كنت اؤمل من حبيبتي خيراً حتى فعلت هذا !

الفتاة

قم اذن . فاني احل محلها !

الشاب

تعالي . وانا احل محله !

الفتاة

أتريد ان تلحق بالقافلة ؟

الشاب

لا ! لماذا ؟ نبقى هنا ! والله هي التي جرتني !

الفتاة

وانا هو الذي جرني !

الشاب

التقينا ! تعالي . اجلسي قربي . نبقى هنا ولا نتعب نفسينا سدى. الآن تخف حرارة الشمس . والله لا ادري لم يذهب الناس بعيدا في طلب شيء لن ينالوه ؟ هم مجانين !

الفتاة

صدقت والله !

الشاب

نبقى هنا، أليس كذلك؟

الفتاة

هذا افضل !

(يلمسان : يتأمل الواحد
الاخرى .....)

الشاب

اني مسرور .

الفتاة

وانا مسرورة . اندري انك جميل !

الشاب

وانت اجمل !

(يميلان على بعضهما في جنون)

(همسات خفيفة في الجو)

الطائف الاول

الا ننتهي اليوم ؟ سر بنا .

الطائف الثاني

لعلك رب تخاف ان تغفل عن خلقك ! لماذا تلح على الذهاب الا تسليك هذه المشاهد المتنوعة ؟ اترك ذينك المرورين وانظر هذا !

الطائف الاول

اتريد دوما ان تشغل بالي بشيء جديد ؟ تباً لهذه الصحراء كم تنبت من انواع ومع ذلك يقولون انها صحراء .

الطائف الثاني

انظر هذا . ان منظره مضحك ! الا تضحك ؟

الطائف الاول

الا تراه سائراً يتمهل بخلاف غيره ؟

الطائف الثاني

صدقت . من يدري . ربما كان شعره المنفوش المتدلي على كتفيه سبباً في تمهله !

الطائف الاول

ماذا تعني ؟

الطائف الثاني

ان هذا النوع من الناس اذا سار مسرعا خيل اليه ان الشياطين تلحق به . لذلك يخاف الاسراع خوف ان تتهادى شعوره في نور الشمس فيحسبها شياطين تنط على رأسه ! الخلاصة انا اهزأ بامثاله !

الطائف الاول

اما انا فلا .

الطائف الثاني

اصغ . لنسمع هذيانه !

السائر

هذه رمال تتماوج لا يدرك ما خلفها البصر ! هذه هضاب قائمة في قوة تخفي تحتها ركاما : لعله حظ البشر . هذه السماء صافية تألقت في رحابها الشمس الوضيئة ! اين الطيور تغرد في هذا الخلاء الصامت تملؤه حياة ؟ الا تغرد لي فتؤنسني في سيري ، انا الذي برحت بابنـاء جنسي ؟

من يسمعني اذا ناديت ! لا احد ! لاجرب .

(ينادي)

يا طيور . يا طيور . لم ترد ! ذاك طير سمع صوتي فاجفل هارباً .

(سكون رهيب)

الطائف الاول

دعنا منه .

الطائف الثاني

انه مجنون . اليس كذلك ؟ قلها ولا تخف .

الطائف الاول

لكن اتعلم انه هو الوحيد الذي يستفيد من سيره في الصحراء ؟

الطائف الثاني

لا اعلم ولا اريد ان اعلم .

الطائف الاول

اذن سر بنا .

الطائف الثاني

لا . قف . هذان رجلان يتنازعان .

(يظهر رجلان مع احدهما قربة
ماء . . . . .)

الرجل الاول

اذكر اننا كنا صديقين .

الرجل الثاني

اذكر ذلك . لكن لا صداقة بيننا الآن !

الرجل الاول

لكن لا تنس ان القربة لي . وقد خطفتها مني .

الرجل الثاني

خطفتها منك لانك كنت غافلا عنها . ان قربة ماء في الصحراء تساوي ملء الارض ذهباً . وقد اخذتها وستظل معي .

الرجل الاول

لكنها لي .

الرجل الثاني

واصبحت لي !

الرجل الاول

الحق اني حتى الآن احترم الصداقة التي بيننا .

الرجل الثاني

رجائي اليك الا تحترمها .

الرجل الاول

باسم الصداقة اتوسل اليك ان تعطيني قربتي .

الرجل الثاني

باسم الصداقة المزعومة ارفع اليك رفض طلبك .

الرجل الاول

اسقيك منها . هاتها .

الرجل الثاني

اما انا فلا اسقيك . وستظل معي .

الرجل الاول

لقد تحملت اكثر من اللازم . هات القربة .

الرجل الثاني

قلت لك : لن تأخذها ! كانت لك فصارت لي .

الرجل الاول

أأغتصاب ؟

الرجل الثاني

اغتصاب واستهتار . ماذا تريد ؟

الرجل الاول

قلت اريد القربة . اريدها بهدوء .

الرجل الثاني

واذا لم اعطك اياها !

الرجل الاول

آخذها بالقوة !

الرجل الثاني (في سخرية)

هاها ! خذها اذن !

الرجل الاول

طيب اسمح لي بها اذا أردت .

الرجل الثاني

مستحيل !

الرجل الاول

لكني عطشان . ومهي لي . فاسقني قطرة .

الرجل الثاني

وهل تحسب اني لست عطشان مثلك ؟ ان حلقي يحترق لكن لن اسقيك قطرة !

الرجل الاول

لماذا ؟ هيا نشرب معا !

الرجل الثاني

تبقى القربة لي وحدي !

الرجل الاول

انها قربتي ، هانها !

الرجل الثاني

لن تأخذها ! امش في طريقك !

الرجل الاول

لن اسير من هنا حتى آخذ قربتي .

الرجل الثاني

اما انا فاسير . استودعك الله !

(يعترض سبيله)

الرجل الاول

لن تروح من هنا حتى تسلم القربة !

الرجل الثاني

الا تفهم ؟ قلت لك لن تأخذها مني !

الرجل الاول (في غضب)

هات القربة والا !

(يحيد الآخر بالقربة قليلا ،
يهجم عليه الاول ، يفتح الثاني
فم القربة ويصب ماءها مقهقها)

الرجل الثاني (في لوعم)

الا تأخذ القربة ؟ خذها !

الرجل الاول (ناظراً الى الماء في دهشة)

ويحك ! لم صببت ماءها ؟

الرجل الثاني

لئلا تشرب منه ! ها ها !

الرجل الاول (هائجاً)

يا شقي ! الم يكفك اخذها حتى صببت ماءها امام عيني . فلم تستفد ولا افدت ! يالك من شقي !

(ينتضي خنجراً ويهجم به على
الثاني يغرزه في صدره . ثم
ينتزعه بحركة عصبية ويولي
هارباً . . . . .)

الرجل الثاني

آه ! قتلتني يالئيم .

الرجل الاول (هاربا)

هذا جزاؤك . عاملتك بالحسنى فلم تلن . مت اذن كالكلب .

الرجل الثاني (يترنح)

آه . ليتني اعطيته القربة . آه ! لقد افتريت على نفسي .

(يسقط على الارض يتلوى الما)

(يـدو من بعيـد جـواد عاديا
بسرعة فائقـة . يعثر الجواد اذ
يدنـو . يسقـط الفـارس يهم
بالنهوض . لا يقدر . بينما يشرد
الجواد في الصحراء في جموح .
يدنو الفارس من الجريح زحفا)

الجريح (يبادره)

آه ، بربك ! امعك ماء ؟

الفارس (متألما)

لا والله ! ان الجواد فر بالقربة التي كانت معي .

الجريح

يا ويلتاه ! اسقوني . عطشان .

الفارس

آه ! ما هذا ؟ دم ! ما بك ؟

الجريح

آه . لا تسألني . طعنني صديقي بخنجر وهرب .

الفارس

بئس الصديق !

الجريح (في نفسه)

نعم الصديق ! اراحني من العذاب الطويل .

الفارس

كيف تحس نفسك الان ؟ لقد انسيتني المي !

الجريح

اتألم . هات لي ماء ! انظر هناك . الا ترى الماء يلمع في ضوء الشمس ! اسع اليه وآتني بقليل منه . اني اموت عطشا !

الفارس

ليس ماء ما ترى ! انهو الا سراب !

الجريح

سراب ؟ ما السراب ؟

الفارس

هو طيف الماء في الصحراء .

الجريح

والنهر الذي نذهب اليه ، اليس فيه ماء؟

الفارس

طبعاً ! انه نهر .

الجريح

اخشى والله ان يكون ذاك النهر سراباً !

الفارس

لا . انه ماء لماع عذب .

الجريح

من يدري ؟ لكن قل لي : من اين اتيت انت ؟

الفارس

آه ! والله كنت هانئا في داري ، سعيداً ، حتى سمعت الناس يقولون : ان قافلة مضت الى النهر لتنعم بصفاء مائه وعذوبة خريره فعزمت على اللحاق بها . فاسرجت خير جيادي واكثرت معي الزاد ! ثم طفقت يعدو بي الجواد لادرك القافلة ، حتى وصلت الى هنا . فعثر الجواد وسقطت وهرب الجواد . . . آه ! يا ساقي !

الجريح

انت تعيس مثلنا ! ظننتك لا تقصد النهر .

الفارس

كنت اقصده ، اما الان فاني نادم . من لي بمن يرجعني الى داري وله نصف ما املك ، آه !

الجريح

بربك ماء ، اسقني !

الفارس

قد علمت الا ماء هنا ، تجلد !

الجريح

آه اتجلد ! نعم اني اتجلد ! ارى دمي ينزف وحياتي تذوب واتجلد .

انظر هذا الشبح الهائل فاغراً فمه ! ما اقسى قلبه ! الا تراه ؟ انه هناك واقف في كبرياء ، انه قادم . دنا ! ها هو يهوي بفمه على جرحي يمتص بقايا دمي ! لعله هو الاخر عطشان ! لكن الى نوع آخر من الماء ! عطشان الى الدم . الى دمي ! آه يا ويلي !

رفقاً بي ايها الشبح ! ابق لي قطرة دم في جسدي الواهي ! ألا ترتوي ؟ دع لي دمي اعيش به قليلا ! فلعلي ادرك النهر وهناك اجود عليك بما تريد ! اتحسبني اكذب عليك ؟ ابداً . انقلني الى هناك وترى ! كف عني قليلا ! انقلني .

آه ، لعلك رققت لحالي ! انت تحملني بين ذراعيك لكن مالفمك المرعب مهوياً على جرحي ؟ لا بأس ! احملني ، امض بي ، استودعك الله يا صاحب الجواد ، آه ، الان استرحت .

(يلفظ الروح)

الفارس (يتلوى الماً)

رباه ! أنكون نهايتي كهذا الرجل ؟ يا ويلي ! ياويلي ! ياطائر الجو اعرني جناحيك ، لا اريد ان اموت هنا ، لا اريد .

(يدس رأسه في التراب باكيا)

آه ! لن اموت !

(يدنو من القتيل ، يتلفت الى
كل الجهات ، يفسح عن جرحه
ويهوي بفمه عليه يمتص دما)

الفارس (صائحاً في جنون)

لن اموت ! اتسمعين ايتها الكائنات ؟ لن اموت ، لقد ارتويت !
ارتويت !

(ناحية اخرى ، تلوح عجوز في
جسم ناحل هزيل ٠٠٠٠٠)

العجوز

لقد ضحك مني ذلك الوغد اذ قال لي : اني ساجد هنا رجالا كثيراً اتلذذ بمضاجعتهم ! لقد اوهمني ليفر برفقة تلك الخبيثة . آه ! ما كان اغباني اذ صدقته ! الان خلا له الجو . انها معه الان ، ستنام على ذراعه طول الليالي تمتص دمه ، تباً لها ! لم سمعت وصدقت ؟ اتركته لآتي الى هذا القفر الخاوي لا اجد من اضم ويضمني .

ايتها الصحراء ارسلي لي من ينام معي ! أهكذا تقفرين من جسد رطب ؟ اعطيك نصف دمي اروي به تربتك القاحلة اذا ارسلت لي

من انام معه ، ارسلي من يطفئ حرقتي ، ألا تكفي حرقة في الحلق حتى أبلى بحرقتين : في القلب وفي البدن ؟ لا اريد من يطفئ حرقة حلقي ، اريد من يطفئ حرقة بدني ! هذا الذي تزيده حرارة الشمس اتقاداً والتهابا ! ألا ترينه ايتها الصحراء كيف يتململ يبحث عن رفيق ؟

تباً لي ! لم اتيت اليك ؟ لقد كنت هناك هادئة لا تثور في طبيعتي حتى جئتك فاشتعلت ، ثم تضنين علي بجسد !

ايها الهواء ، ايها النور ، ايتها الارض والسماء ، انظري جميعاً الى جسدي وتملي منه ومن نظر اليك يوما فاقذفي في بدنه ذرة مما في بدني !

ايتها الارض انت اقرب شيء ملموس الي ، ان السماء والهواء والنور ليست مثلك ! استعدي ايتها الارض فاني ساتمرغ عليك .

(تتمرغ في فضاء الارض ثم تنهض
قائمة اذ ترى حية تهجم عليها
تقبض على رأسها ....)

العجوز (تخاطب الحية)

ايتها الحية ، أأنت كل ما جادت بك الصحراء ؟ شكراً لك ايتها الصحراء الرهيبة . انك كريمة ، جدت علي بحية . وانت يا حية القفر الا يرضيك جسدي تنسابين عليه في امان ؟

هاك جسدي !

(تتلوى الحيـة على جسدهـا ،
تمسك العجوز رأس الحية . .)

اني لا اكتفي بهذا ، اريد منك غير هذا ، انظري هذين الثديين المتهدلين ، ارضعي منهما او ارضعيها !

(تدس الحيـة تحت كل ثـدي
فتلدغها فيه . تلـقي بالحيـة على
الارض وترتمي هي عليها تطوقها
وتتقلب بهـا على فضاء الارض)

(همهمة غامضة في الجو)

الطائف الاول

بالله دعنا من هذا . امض بنا . لقد ارعبتني هذه العجوز .

الطائف الثاني

حقاً انها جبارة .

الطائف الاول

ترى لو صادفت جسد انسان ما كانت تفعل به ؟

الطائف الثاني

ادع لك تصور ذلك !

الطائف الاول

سر بنا !

الطائف الثاني

انظر هؤلاء الواقفين بعيداً .

(رجال ثلاثة ، الثالث يرمق
الاثنين بنظرات حيرة وقلق)

الرجل الاول

الافضل ان نمضي من هنا ، فقد اوشكت الشمس ان تدور دورتها ونحن لا نزال كما كنا . هيا بنا !

الرجل الثاني

لكن لا تنس اني آليت على نفسي الا ابرح هذا المكان الا متى اقنعتك .

الرجل الاول

قد افهمتك اني مستعد لآخذ برأيك ، اذا انت الزمتني الحجة .

الرجل الثاني

وقد ادليت لك ببراهين مقنعة ، لكنك تصر على الانكار .

الرجل الاول

بسيط ، نراجع الامر من اوله ، لكن باسلوب جديد .

الرجل الثاني

اذن ، قل لي ماذا تنكر ؟

الرجل الاول

ماذا انكر ! ارجوك ، انا السائـل ، ماذا تريد ان تبين لي ؟

الرجل الثاني

اريد ان ابين لك ان الظل في المساء اطول منه في الصباح .

الرجل الاول

وانا اقول ان الظل في الصباح اطول منه في المساء .

الرجل الثاني

تذكر جيداً انا رأينا ظلالا عديدة في الصباح !

الرجل الاول

لكن نسيت تحديد الوقت،متى رأيتها ؟اين كانت الشمس اذ رأيتها؟

الرجل الثاني

بعد ان اشرقت الشمس .

الرجل الاول

قف ، ليس هذا ما اريد ، اريد وهي تشرق .

الرجل الثاني

وهل لاحظت هذا انت ؟

الرجل الاول

نعم لاحظت !

الرجل الثاني

اذن ماذا رأيت ؟

الرجل الاول

رأيت و كأن شيئاً وجد من عدم ! رأيت ظلي على الارض طويلا لكن اتظن اني رأيت اخره ؟ لا !

الرجل الثاني

تقول : رأيت شيئاً من عدم ، كيف يكون ذلك؟

الرجل الاول

هل كان لي ظل قبل ان تشرق الشمس ؟

الرجل الثاني

لا !

الرجل الاول

وبعدان اشرقت؟

الرجل الثاني

كان لك ظل !

الرجل الاول

اذن من اين اتى الظل ؟

الرجل الثاني

الشمس اوجدته .

الرجل الاول

اذن لم يكن موجوداً قبلا !

الرجل الثاني

كان موجوداً .

الرجل الاول

اذن كيف توجده الشمس وقد كان موجودا ؟

الرجل الثاني

ان الشمس لم توجده .

الرجل الاول

لا تنس انك قلت عكس هذا من قبل ! اما ان يكون موجوداً فلا فضل بعدئذ للشمس واما ألا يكون والفضل عندئذ للشمس .

الرجل الثاني

الشمس اظهرته للعين وقد كان موجوداً .

الرجل الاول

كيف تثبت لي وجوده قبل ان تظهره الشمس ؟

الرجل الثاني

اذن كيف تؤمن بوجوده بعد ان اظهرته الشمس ؟

الرجل الاول

لانني اراه !

الرجل الثاني

اطرح عليك سؤالا : هل تستطيع الحياة دون هواء ؟

الرجل الاول

ابداً .

الرجل الثاني

قل لي اذن : هل ترى الهواء انت ؟

الرجل الاول

لا اراه !

الرجل الثاني

وانت تؤمن بوجوده مع ذلك .

الرجل الاول

هذا صحيح .

الرجل الثاني

طبق هذا على الظل !

الرجل الاول

مهلا ، انا لا ارى الهواء لكن احسه ، اما الظل فلا اراه ولا احسه ، كيف السبيل الى التوفيق بين الظاهرتين ؟

الرجل الثاني

لكنك ترى الظل .

الرجل الاول

بعد شروق الشمس ، اما قبله فلا !

الرجل الثاني

اذن لم يكن الظل قبل الشروق.

الرجل الاول

هذا ما قصدت اليه .

الرجل الثاني

لكن عفواً ، نسيت شيئاً ، ايهما لم يكن موجوداً ، الشمس ام الظل ؟

الرجل الاول

الاثنان .

الرجل الثاني

اذن كيف كانت الشمس عدماً فصارت وجوداً ؟

الرجل الاول

لانا نراها .

الرجل الثاني

وهل يعني ذلك انها لم تكن موجودة قبل ان نراها ؟

الرجل الثالث

أتريان ، هذا دأبكما ابدا ، تطرقان موضوعاً وتتجادلان في آخر لقد مضى عليكما زمن طويل تتناقشان ولما تصلا الى غاية . انتما

تتباحثان في طول الظل صباحا ومساء ، فما اكما ووجود الشمس وعدمها ؟

الرجل الثاني

صدقت والله ، لنعد الى ما كنا عليه ، انت تقول ان الظل في الصباح اطول منه في المساء وانا انكر ذلك .

الرجل الاول

انت لا تتكر فحسب ، انت تقول العكس .

الرجل الثاني

صدقت .

الرجل الاول

كيف تؤمن بما تدعي وانت لم تر الظل في المساء بعد ؟

الرجل الثاني

سمعت هذا عن ابي .

الرجل الثالث

فهمت نقطة الخلاف . فهمت انكما مختلفان على امر لا خلاف عليه ، اما الظل في الصباح فيمتد الى اللانهاية . وكذلك الظل في المساء ، اذن لا فرق بين الامرين .

الرجل الاول (في نفسه)

يمكن ان يكون صوابا ما قلت .

الرجل الثاني (في نفسه)

غير بعيد ان ينطق بالحق .

الرجل الثالث

اذن انظر ! هذه الظلال تمتد في نور الشمس الى الامام وسوف تصل الى حين تكون فيه طويلة بحيث لا تقاس ، كذلك كانت في الصباح . اذن لا الظل في الصباح اطول منه في المساء ولا الظل في المساء اطول منه في الصباح .

الرجل الاول

صدقت !

الرجل الثاني

صدقت !

الرجل الثالث

لكن الامر الذي لم تبحثاه ، هو هل يمكن ان نصل قبل الغروب ام لا ؟

الرجل الاول

صحيح ، فاني احس بتعب ، وقد كاد يحترق حلقي عطشاً .

الرجل الثاني

اما انا فابصرته بام عيني .

الرجل الثاني

هل ابصرت الظل في المساء ؟

الرجل الاول

لا !

الرجل الثاني

اذن كيف تجزم بتفوق الظل في الصباح عليه في المساء ؟

الرجل الاول

صدقت .

الرجل الثالث

انتما في صحراء ، عليكما قطعها لتصلا الى النهر ، وها هي الشمس اصبحت وراءنا .

الرجل الاول

سنسرع بعد ان ننتهي من هذا .

الرجل الثالث

تالله جف ريقي عنكما ، الا تفتران قليلا عن الجدال؟ والله احسن رفيقانا: ذهب الاول وقد مل رفقتنا ولعله ادرك النهر ، وعاد الثاني وقد سئم الحديث ولعله بلغ داره . اما نحن فلا نزال حيث كنا تدور الارض تحتنا ونحن نحرص على البقاء مكاننا ! أليس كذلك هل تتركان الامر لي ابت فيه ؟

الاثنان

اعطنا رأيك .

الرجل الثالث

وانا والله كذلك .

الرجل الاول

ايبعد النهر كثيراً من هنا ؟

الرجل الثالث

هـل تحسب نفسك سرت في الصحراء ؟ انـك لا تزال في اول الطريق !

الرجل الثاني

هيا بنا نذهب يمينا .

الرجل الاول

الافضل ان نذهب يسارا .

الرجل الثالث

الطريق السوي . افضل الى الامام .

الرجل الاول

بوسعي ان اقنعك ان السير الى السيار افضل .

الرجل الثاني

وانا بوسعي ان اقنعك ان السير الى اليمين احسن .

الرجل الثالث

اما انا فلا اقنعكما بشيء . انا ماض في سبيلي . الى الامام .

الرجل الاول

الاتفاق افضل .

الرجل الثاني

لنتفق اذن . انت تقول ...

الطائف الاول

ايظلان هكذا ابداً ؟

الطائف الثاني

تالله لو استطعت لامسكت بلسانيها وانتزعتها من الاصل .

الطائف الاول

لكن المؤلم ان يكون رجل آخر تابعاً لها . لايسير حتى يسيرا. تالله ان هذا صعب .

الطائف الثاني

هناك كثير من هذا القبيل . الضحايا هم التابعون .

الطائف الاول

اللهم لم لا تهدي كل امريء بنفسه فلا ينتظراوامر آخر ؟

الطائف الثاني

ان الله يسر للانسان كل شيء . لكن كثيراً من الناس يريدون ان يتخلوا عن حقوقهم لاخرين . وياله من خسران مبين !

الطائف الاول

اتريد ان تقول ان الانسان عليه الاستعانة بالله مباشرة دون

وسيط ؟

الطائف الثاني

الا تري ذلك افضل اذا كان الوسطاء على شاكلة هذين المعتوهين ؟

الطائف الاول

لا ادري ! سر بنا .

الطائف الثاني

هيا ننتقل من هذا المكان . اتدري ؟ هيا نرى اول القافلة . رأينا بقاياها فهيا نراها كاملة . الا ترى الشمس تميل الى المغيب ؟ هناك منظر لذيذ . هيا . اصبر . انظر هذا الشيخ . يا له من بليد .

(يظهر شيخ هرم يتوكأ على عصا غليظة . . . . .)

الطائف الاول

لو تعلم ان هذا اقرب الى الوصول منهم ؟

الطائف الثاني

في عقلك المعوج طبعا . تالله لو استطاع لتقدم الجميع . لندن منه وسنرى .

الشيخ (في صوت ضئيل)

لا ادري ما كتب الله لي . كلما اخطو خطوة احسني ارجع اخرى . اريد ان اصل . يا للطريق ما اطولها . ايتها الارض انطوي تحت قدمي لاصل قبل الناس . لم يكون الناس افضل مني ؟ الاني اصبحت شيخاً كبيراً يسبقني الناس ؟ لا اريد ان الحق بهم . اريد ان اسبقهم ! مرحى لقدمي ، انهما تنشطتا . هاهما تخطوان بسرعة سيرى غيري اني اقدر منهم . ساصل قبل الجميع .

(يسرع)

الطائف الثاني (مقهقهاً)

والان ماذا تقول ؟

الطائف الاول

حقا ان منظره خداع .

الطائف الثاني

حاذر مرة ثانية ان تنخدع بهذا النوع من الناس . الان هيا نتقدم القافلة .

(تذوب الاصوات بينما ترتمي
اشعة الشمس خفيفة ضئيلة . .)

(تلوح القافلة من بعيد . تمتد
ظلالها الطويلة في نور الشمس .
ضجة غامضة من بعيد . همسات
في الجو . . . . .)

الطائف الاول

انظر . انهم يتقدمون ايضا . وهذه الشمس آذنت بالمغيب !

الطائف الثاني

الا ترى ذلك الطائر الحلو الذي يسير امامهم ؟ هو يلهيهم طالما هو باد عليهم . فاذا غابت الشمس وغاب الطائر في الظلام تلفتوا الى انفسهم وصحوا من سكرتهم .

الطائف الاول

حقا ان هؤلاء الناس مساكين .

الطائف الثاني

هم اصل عذاب انفسهم ! اسمع ها هد دنت القافلة !

(صيحات . آهات . تنهدات .
ضحكات مريرة . غناء . عويل
وطء اقدام غليظة . ضجة
قوية . كل ذلك في وقت واحد)

رجل

رباه ! ايطول بنا المسير بعد ؟ متى نصل ؟ اكاد اموت عطشاً !
اسقوني . اسقوني .

آخر

هه هه ! اي شيطان دهى بعقلي فاسلكني هذه الطريق ؟ لئن
عدت الى بلدي فلن اوجه وجهي الى هنا !

شاب

قه قه قاه ! اضحكوا ! لا تشمتوا الوجود بنا . اضحكوا !
ما لكم واجمين ؟ اضحكوا ! انا نموت . الا يضحك الموت ؟ قه قه
قاه ! ايها الموت اني اضحك منك . اهزأ بك . اتفهم ؟
اضحكوا يا اخواني مني . اضحكوا على الموت . هذا
المتربع بجبروت فوق هاماتنا ! آه ! اهبط ايها الموت عن كتفي
وتعال بارزني . انت تتغلب علينا بمكرك . لو برزت يوما الينا لرأيت
منا العجب ! لكنك جبان تغدر بنا ! افعل ما تريد . انا لا اهابك قه
قه قاه ! ..

فتاة

بالله جروني فقد تصلون فاشرب معكم ! من يحملني وله قبلة من شفتي ؟ مالكم لا تنظرون الي ؟ العلي لم اعد جميلة ؟ اني لا ازال جميلة . تعالوا الي . احملوني . من يحملني وله فركة من نهدي ؟ حتى هذا لا تريدون ! من زمن كنتم تتزاحمون على قدمي لالقي عليكم نظرة . اما الان فقد اعرضتم عني !

آه ! اي مجنونة كنت اذ رافقتكم ! من يحملني له جسدي يتمتع به كما يشاء . اتسمعون ؟ جسدي . هذا الناعم ! جسدي ! تعالو .

شاب آخر (يغني)

اصبروا . اصبروا . سوف نصل !

رجل (يبكي)

ما اضيع الحياة في هذا القفر !

كهل

افرحوا يا رفاق . لقد لاح النهر . اسرعوا . من كان في نفسه رمق فليحتفظ به . ها قد دنونا ! النهر قريب ! سنشربه جميعاً ! لا ندع فيه قطرة . اسرعوا .

آخر

نسرع ؟ مجنون ! الا ترى الشمس ؟ تباً لك ايتها الشمس . الان تميلين للغروب . قفي مكانك . اقول لك قفي . الا تسمعين ؟

تباً لك .

(يرشقها بحجر)

رجل

اسرعوا . قد قربنا . الليلة ليلة مباركة .

آخر

ارى انك اعمى . اعماك وهج الاصيل . اذا كنت لا تستطيع النظر الى الشمس فانظر الى هذه الجبال كيف تغرق في الظل ! الا يدلك هذا ان الشمس تغرب ؟ الا ترى في السماء ذوبان الانوار وسريان الظلمات ؟ اذا كنت اعمى فدعني افتح عينيك بحفنة من تراب !

(يذر التراب في عينيه)

الاول

يا لك من شقي ! لم فعلت بي هذا ؟

الثاني

لم فعلت بك هذا ؟ فعلته لاريك اشياء تعمى عنها !

الاول

لو ان قوتي معي لاريتك .

الثاني

لو لم تباغتنا الشمس بالغروب لقتلتك !

الاول

الهيتني يا خبيث . اسرعوا . اسرعوا . هاقد وصلنا !ان الشمس تمزح معنا ! فهي تختفي وراء غيمة عابرة لتظهر لنا ساطعة بعد ذلك !

الجميع

هيا . اسرعوا .

(تصل القافلة الى هضبة عالية . فوقها خيمة . . . . .)

الدليل

قد وصلنا ! ها هو النهر لاح عن بعد ! افرحوا ايها الناس . انسوا اتعابكم . لم يبق علينا الا ان ندور خلف هذه الهضبة لنشهد منبع النهر ! الا تسمعون هديره ؟

(يخرج من الخيمة شيخ هرم ابيض شعر الرأس . . . . .)

الشيخ (يستوقف القافلة)

ايها العابرون الى اين انتم ذاهبون ؟

احدهم

احذروا منه . لعله شيطان . فلقد حدثني ابي انه عندما تصل القافلة الى النهر يظهر لها الشيطان ليضلها !

الجميع

اسكت . الى النهر نحن ذاهبون ايها الشيخ .

الشيخ

ارجعوا يا اولادي ! لقد مرت قبلكم قافلة وقبلها قافلة وقبلهما قوافل . ولم يرجع منها احد . لقد ابتلعتها الصحراء العظمى كأنها لم تبتلع شيئاً ! ارجعوا من حيث جئتم فان النهر جف !

الجميع

ماذا تقول ايها الشيخ ؟

الشيخ

لقد جف النهر . جف من امد بعيد وقامت مكانه صخور محددة الرؤوس تدمي الاقدام . ارجعوا يا اولادي فان النهر جف !

الجميع

آه !

(تغيب الشمس فيترامون على
الارض يستفون التراب في جنون
يأس . تدوي قهقهات رهيبة . .)

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٩	١٧	تغور	تفور
١	٣٣	تغف	تقف
٤	٤٣	علينا	علي
١٧	٥٣	رأيت	كان
٢	٥٦	لتفعلينه	لتفعليه
٢	٨٣	عتدلت	اعتدلت
٣	٨٥	ولداه	مولولا
١١	٨٥	يعودان	يعدوان
١٦	١٠٤	من	ما
١٦	١٠٤	تمثلت في	تمثلت
٧	١٠٥	يلكزها	يكزها
١١	١٢٠	(يعترض سبيله)	تأتي بعد عبارة الرجل الاول

ووقع خطأ في الصفحة ١٣٧ ، فاقرأ الى السطر الثالث عشر ، ثم انتقل الى الصفحة ١٣٨ واقرأ من السطر الثامن عشر الى السطر الاول من الصفحة ١٤٠ ، ثم ارجع الى السطر الرابع عسر من الصفحة ١٣٧ .

انتهى طبع هذا الكتاب في ١٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٧
وطبع منه الفا نسخة على ورق عادي

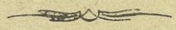

جميع الحقوق محفوظة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00475098
AUB LIBRARY

CA
892.78
M231LyA
c.1